إلى الأديب الشاعر الأستاذ محمد المغربي
مع خالص تحياتي
محمد صالح الخولاني
٣/١١/ ٢٠٠٦

محمد صالح الخولانى

[illegible]

أشواق رحلة العودة

شعر



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٦

سلسلة الإبداع الشعرى المعاصر

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٥/٣٤٨٤

I.S.B.N. 977 - 01 - 9490 - 5

بين يدى الديوان

د. يوسف حسن نوفل

أقول، بين يدى هذا الديوان الجديد للشاعر محمد صالح الخولانى (أشواق رحلة العودة)، إننا أمام شاعر ذى تجربة شعرية أصيلة عريقة، بدأت فى العقد السادس من القرن العشرين، على صفحات المجلات الأدبية بمصر والعالم العربى، واستمرت، دون توقف، بعد ذلك، حتى الآن فى دواوينه المنشورة:

ملحمة الشعب البطل سنة ١٩٧١، وفى ذاكرة الفعل الماضى سنة ١٩٩١، ومملكة البندقية سنة ٢٠٠٢، وفى شعره الدرامى، حيث مسرحيته الشعرية (الحلم والمؤامرة) سنة ١٩٩٦، ومسرحيته الشعرية (أيام الدم) سنة ٢٠٠٠.

والكم المطبوع من أعماله الشعرية غنائيا - ودراميا - أقل بكثير من إنجازاته الحقيقية، وما يزال لديه - فيما أعلم - دواوين تنتظر فرصة النشر ورؤية النور.

أما هذا الديوان، فهو يمثل أصدق تمثيل، المنهج الفنى للشاعر، النابع من ثقافته الشعرية الواسعة، الجامعة بين القديم والحديث، ذلك المنهج المتمثل فى تعايش القالبين: التراثى العمودى، والتفعيلى الجديد، شأنه شأن القادرين من الشعراء، الذين يكتبون الشعر الجديد، ويكتبون القديم، أيضا.

وحين نتأمل واقع القصيدة العربية سنجد أنفسنا أمام ازدياد عطاء موجات الشعر الجديد؛ وذلك نتيجة للطبيعة الحضارية العامة للعصر، وتغير إيقاعه وتوجهاته، وغلبة سمات منه على سمات أخرى، ونظرا لتراسل الأجناس الأدبية وتداخلاتها فيما سمى تناصا، أحيانا، أو كتابة عبر نوعية، أحيانا، على نحو بات يبشر بميلاد فنون أدبية وقولية جديدة تتقارب فيها الأنواع والأجناس الأدبية وتتداخل فيما بينها، من ناحية، وفيما بينها وبين غيرها من ناحية أخرى، بل قد تتناسخ وتتوالد من جديد، مستدفئة بأحضان ثورة الاتصال والإعلام، وهذا كله لا ينفصل عن القطع والاعتراف بالوجود الحتمى للشعور فى كل فن: قولى أو سمعى أو بصرى.

كان ذلك استمرارا، وتطويرا لما شهده الفن الشعرى العربى، فى بدايات القرن الماضى من منافسة فنون مستحدثة، كالقصة والمسرحية، أطلت على استحياء أول الأمر، ثم ما لبثت أن أستحصد عودها واستفحل أمرها بعد نيلها الاعتراف الشرعى فى الأوساط الأدبية العربية التى أنكرتها فى بداية وفودها من خارج دائرة الحضارة العربية، ولم تنقض نهايات القرن العشرين إلا وقد انعكس الوضع فبات نداء: «الرواية ديوان العرب» بديلا عن شعار موروث هو «الشعر ديوان العرب»!.

وإذا ما أضفنا إلى ذلك التنافس تنافسا أشد يتمثل فيما شهده حقل الشعر العربى المعاصر من تحولات وحركات نضج بعضها وشاع وذاع، وعلا صوت بعضها دونما نضج. بل دون مبرر فنى - إذا ما تذكرنا ذلك - وجدنا أنه حين رحب النقد الحديث بحركة الشعر الجديد (التفعيلة)، لم يكن همّ النقد ولا هم النقاد، ولا هم حركة الشعر الجديد ولا هم فرسانه - القضاء على الشكل الموسيقى التراثى العمودى المتمثل فى القريض، أو القصيد المقفى موحد الوزن الذى يقوم بناؤه على نحو ما أسس ورتب الخليل بن أحمد من تراث العرب الموسيقى.

أكثر من ذلك أننا وجدنا من رواد الشعر الجديد من يختار منتخبات شعرية من الشعر العمودى، بل كثيرا ما نرى لدى كبار

شعراء التفعيلة، ولدى الأصلاء منهم، قصائد من ذلك النوع التراثى فى موسيقاه، حيث بدأ بعضهم حياته الشعرية عموديا، أما الآن فنجد فى ديوان هذا الشاعر، أو ذاك غلبة الشعر ذى الطابع الموسيقى الجديد، مع وجود قصيدة أو أكثر من الموسيقى ذات الطابع التراثى، على نحو ما نرى فى الديوان الذى بين أيدينا للشاعر «الخولانى»، الذى يقدم دليلا جيدا على تعايش القالبين وتفاعلهما.

بل إن من قصائد الشعر الجديد - لدى الكثيرين - ما يكون الفضاء الكتابى للقصيدة فيه جديدا، أى وفقا للتفاعيل، بينما تكون الهندسة التراكمية للنسق التفعيلى فيه من الموسيقى التراثية، أى ذات تفاعيل متساوية العدد، وقواف موحدة الحرف والروى، يتضح ذلك عندما نقوم بإعادة صياغة الفضاء الكتابى مرة أخرى على نحو يبرز العمودية فى القصيدة، ومعنى هذا أنه لا عداء، ولا تنافر بين القالبين، وأن ظهور القالب الجديد، بقدر ما يعنى الطموح المشروع والمستحب للتجديد، فإنه لا يعنى بالضرورة الإضراب صفحا عن القديم، فضلا عن تصور معاداته أو مخاصمته.

وفى الوقت نفسه ظلت أجيال من الشعراء على موقفها من التشبث بالقالب العمودى فى كل ما تكتب من شعر، على تعاقب أجيالها، وعلى نحو يفوق الحصر، ناسجين على منوال أمثال من

عرفنا فى مدارس الشعر المتعاقبة منذ الإحيائيين حتى وقتنا هذا، لنرى منهم عددا كبيرا من الشعراء فى بيئات الأدب العربى المعاصر، وعلى نحو يفوق الحصر.

وهكذا ضمت الساحة الشعرية:

الشعراء العموديين الملتزمين بالشعر العمودي وحده، والشعراء الملتزمين بالشعر الجديد وحده، والشعراء الجامعين بين النمطين مغلبين الجديد دوما، ومنهم «الخولانى» الذى يضم ديوانه ١٣ قصيدة من القالب العمودى، من بين ٣٧ قصيدة تنوعت تواريخ ميلادها، على نحو له أهمية فنية تعريفية بالشاعر وشعره؛ إذْ كانت بين سنوات:

١٩٦٥، و١٩٦٦، و١٩٦٨، و١٩٧٤، و١٩٨١، و١٩٨٢، و١٩٨٣، و١٩٨٤، و١٩٨٨، و١٩٩١، و١٩٩٤، و١٩٩٩، و٢٠٠٢، وغيرها.

تتبادر هذه الخواطر فى ذهنى، حين ألتقى، فى الديوان ، بنماذج الشعر المعاصر فى ثوبه الموسيقى التراثى الجيد، تأكيدا لاستمرار ذلك القالب مع القالب المستحدث، على نحو يجعل الخطاب الشعرى المعاصر قابلا لاستيعاب القالبين معا دون تعصب لأحدهما دون الآخر، بل دون تفضيل لأيهما على صاحبه، خضوعا لما تمليه التجربة الشعرية.

ولا يقتصر الأمر على مجرد وجود هذه الظاهرة فى ذاتها. بل يتعداها إلى ما هو أهم، وهو ما يعنى به النقد، ويهتم؛ حيث الشكل والمضمون معا.

لقد استعار الشاعر لمنهجه الشعرى الكلاسيكى معايير الشكل الجديد وآلياته؛ فقد كان مما يوجه للشعر العمودى أن القافية فيه قد تكون مقحمة مجتلبة، لا يقتضيها، أو يستدعيها المعنى، أىّ أنها تأتى مجلوبة مصنوعة من أجل إتمام القافية، أو إكمال الوزن، دون حاجة إليها أو تبرير لوجودها، وهذا ما تحقق لهذا الجانب من قصائد الديوان حيث جاءت القوافى طيعة سلسة:

من أين عطرك يا قارورة العطر　　　هذا الذى يوقظ الأحلام فى صدرى

من ريّق النيل أم من نور جنته　　　أم من شذاه الذى ينساب فى النهر

وقد استبدل بعض الشعراء الجدد بالعروض والقافية الإيقاع فيما وراء اللغة ذاتها، فرأوا الإيقاعية أوسع من العروض، ومتضمنة إياه، ومتجاوزة البحر الشعرى، ورأوا فى الإيقاع نسقا للخطاب وبنيته الدالة، ليصبح العروض - فى نظرهم - جزءا من الإيقاع ودالا من دواله، انتقالا من وحدة البيت إلى وحدة النص، دون اعتراف باستقلالية البيت، إلى جانب توظيف الوقفة والبياض والنقط، وما إلى ذلك من أمور، أما شاعرنا، ومثله كثير من

الشعراء، فقد تمسكوا بالعروض فى قالبه الموسيقى المستحدث، بل إن منهم ما ترد التفاعيل فى شعره متتابعة يأخذ بعضها بيد بعض استعارة من البناء الموسيقى الكلاسيكى، مع توظيف البياض والفراغ والنقط:

حينما القتْ بى النقمة فى جوف الليالى

واستبدت بى المسارات التى تقذف بى

فى جنون اللحظة الملقاة فى الأفق العصىّ

ادمن الترحال فى الأرض التى استعصت عليها الريح فى جدب المواسم

متعبا أعدو لكى أوجز ابعاد المدى

وسريان الروح الدرامية فى بعض القصائد، وتوظيف اللفظ المعاصر جنبا إلى جنب مع اللفظ التراثى، على نحو ما نرى فى كثير من جوانب الديوان الذى بين أيدينا .

لقد طور الشعر العمودى نفسه لدى طائفة من الشعراء، باقتراب موضوعهم وهمهم من الموضوع والهم الشعرى السائد فى الشعر الجديد، كما بات الشعر الجديد غير مجاف للقديم، بمراعاة النسيج اللغوى، والبناء الموسيقى، ويبقى قبل ذلك وبعده المنهجان المحددان دون خلط أو نكران.

فمن قضايا القصيدة العمودية ما يتصل بالموضوع الشعرى المعاصر وتطوره، وذلك بالحكم بواقعيته أو اقترابه من الواقع، وانصهاره مع التجربة الإنسانية بهمومها وسماتها العالمية، دون إغراق فى الهم الذاتى وحده، وهنا لا مفر من الاعتراف بالركود والملل الذى أصاب الذائقة العربية بسبب جمود الموضوع الشعرى فى أغلب نماذج الشعر العمودى، الأمر الذى حدا بطائفة منهم للتجدد، وهذا ما يعبر عنه الموضوع الشعرى فى شعر «الخولانى».

وقد آمن أصحاب الشعر الجديد، فى عصرنا، بلغة الإشارة أما الشاعر العمودى فآمن أن الشعر تجربة لغوية، أو كلام باللغة، واقتضاه ذلك التطوير؛ وذلك بتجنب مزالق التمسك بالطلاء الخارجى الذى أسرف فيه أهل البديع، وأهل التصنع، ويأتى البناء اللفظى رقراقا سهلا ملتقيا مع ما يدعو إليه الشعر الجديد من بساطة اللغة، وتركيزها، وقد جمع الديوان بين تلك الملامح جمعا واضحا.

ومن ملامح التقارب بين فنية النموذجين معا عنده، شيوع الصورة فى بنائها الحديث القائم على الاستبطان، والتوظيف الرمزى، واستغلال طاقات تراسل الحواس، سواء أكان ذلك فى شعره العمودى أو الجديد، وإنْ كانت الغلبة للجديد، كما قدمنا، ومنه قصيدته «دقات على إيقاع العصر الحجرى»:

افزعنى يوما أن ألمح فى إنسان ما

وجها لا أبصره فى اليوم الثانى

وأحاول أن أتبين فى إصباح اليوم الثالث إنْ كان خداع البصر أضاع الرؤية من عينىّ

فيجابه وجهى اليوم الثالث بالعين الحرباء

تأخذنى الدهشة.. أسأل: كيف؟

وأعود فأذكر أنّ الأفعى - فيما علّمنيه الزمن الأول -

تقدر، إنْ شاءت، أن تستبدل فى سنوات العمر مئات الأثواب الرقطاء.

ومن ذلك قصيدته «من يوميات ركن الدولة سيف الملك وزير الملك العادل»، وقصيدة «التيه فى الزمن الأرقط» بمفاصلها الثلاث: الإبحار، والاحتضار، والمرايا، وقصيدة «المدينة والقلادة المفقودة». وبناء الصورة على هذا النحو الحديث لا ينفصل عن الفهم الواعى لمهمة الشعر، وذلك بالحديث الشعرى عن تجربة الشاعر الشعرية، أو معاناة الإبداع الأدبى، وهو قدر كبير فى شعره.

وفى الديوان يتضح مفهوم الشعر عنده:

لأنّ عندنا/ قداسة الحروف كلمة بلا صدى/ وعندنا وراء كل كلمة تبين عن هدى وتكون بداية قصيدة «صورة للموت: نحن

الشعراء، وتمضى فى الدرب نفسه قصيدة «قصيدة متطاولة إلى أباطرة الكلام».

يمكن القول، فى نهاية حديثنا، بوجود القصيد العمودى والقريض لدى أجيال من الشعراء العرب، حيث تطور مفهوم الشعر لديهم اقترابا من العصر وإيقاعه، وثقافته، حيث يقدم القادرون دليلا جديدا على ضيق الهوة الفاصلة بين القديم الأصيل والجديد الجيد؛ ليكون الشعر شعرا وكفى.

أشواق رحلة العودة

أيهـــا الشـــوق طرْ بقلبى ووســـد

ه ثــرى ربــوة عــلــى شــطّ نــيــلــى

اســـقـــه خـــمـــرةً وندّ ثراه

بندى العطر من عــبــيــر الخــمــيل

وأذبه غـــــلالةً مــن نـضـــــار

ترتخى فى شــعــاع شــمس الأصــيل

وادعُ حــور الشطآن يحــيــينَ فــيــه

صــبــوة الحب بالغناء الجــمــيل

«نشرت بمجلة إبداع»

جدة.. إبريل ١٩٨٢

أهــدهِ مــن أزاهــر الــنــيــل روحًا

وأملّ فــــوقـــــه ظلال النخـــيل

وإذا وقــدةُ الـهــجــيــر اســتــبــدت

فـــاطر حــوله نســيم الحــقــول

وإذا شــــئت ذره فـى مـــــدى النهـ

ـر لتــفـنى أشـــواقـــه فى المسـيل

أو فطوحْ به إلى الشـــمس حـــتى

يتـــرامى أشــعــة فى الســهـــول

وسلِ الليلَ إن أتى يتـــهـــــادى

بهـــــواه مع النســـيم العليل

أن ترفقْ بمهــجــةٍ مــزّقــتــهــا

صــولةُ البــينِ فى عــذاب ثقــيل

هو قلبى الذى على البــعــد أضحى

فى نهـــــــار عم وليل طويل

خـــذه يا شـــوقُ قـــبلةً لبـــلادى

اتملى بهـــا لـيـــوم الرحـــيل

●●●

خـــذه يا شـــوقُ للشـــواطئ والأصـ

ـداف والموجِ واخــضــرار الصــبـــاح

خـــذه للطيـــر غـــاديات خـــفـــافًا

مـــثـــقـــلاتٍ بحـــملهـــا فـى الرواحِ

خـــذه للبـــحــــر مـــتــــرعًا لفـــهُ من

لونِ أمـــــواجــــه بألفِ وشــــاحِ

خذه يحـدو مـواسم الصـيـد فى الفجـ

ـر ويـنداح فى الروابى الفـــســـاح

يحـضن الشــمس حـين تنبتُ فى الأفـ

ـقِ ويمـــــضى بنورهـا للبـــــراح

ينتـــقى ألـفَ باقـــةٍ من سناهـا

وصــبـــاها المعـــريد المـــراح

ثم يهـــوى بهـــا ليـــرسم منهـــا

ضـــحكاتٍ على شـــفـــاه الملاح

جفَّ فـيـــه الغناءُ والشـــعــرُ يا شـــو

قُ وأزرى بـــه عــــــــويـلُ الـريـاح

فـاحـتـملهُ وطِرْ به لمجالى الـ

فنّ والشعرِ والغناءِ الوضاحِ

وانثر الحبَّ حوله من بلادى

مثلما طوَّف الندىَ بالأقاحى

•••

اىّ شىءٍ يعينُ لو شطَّ بالقلـ

ـب مداهُ واى شىءٍ يسلى

غير أن يلوى العنانَ ويولى

قبلةَ الشوقِ وجهه ويصلّى

أو يرود السماء يأنسُ بالأنـ

جُمِ يمشى على هداها المطلّ

قبلتى أنتِ يا بلادى وأنسى

وصدى أنجمى ومصباح ليلى

ودروبى التى تعود فتلقا

نى إذا جئتها وألقيتُ رحلى

طوفت رحلتى فـــملّت ومـــالى

غـيـر هذا الثـرى مـقـيلى وظلى

أنتِ يا مـصـر إن سـرى بى عـذابى

صـدرُ أم هفـا لـه شـوقُ طفلٍ

إن نبـابى الزمـان والنـاسُ يومًا

كنتِ لى واحـتى وبيـتى وأهـلى

وإذا أدلجـت خـطـاى بـلـيـلٍ

كنتِ سلواىَ فـى سـراىَ المملّ

جدة.. إبريل ١٩٨٢

بعد العشاء الأخير

قال له فى نوبة البكاء: إنك النبىّ

تقدس الكلام يا رسول فى شفاهك البتول

تباركت خطاك يا مخلص الحروف من ضلالة العقول

من زيغ ما تلوكه كهانة الكلام

وزيف ما تخوض فيه ألسن البشر

تبارك الذى تقول فى شريعة الكتاب

الحق قلت: ليس بالرغاب يهتدى لأول الطريق

وليس من يبيع صابه

كمن يجود فى مجامع العطاش بالرحيق

الحقَ قلت! من يلن يهن

ومن يعاقر الكلام غنية عن ارتياد ساحة الكلام

يمت وما أدار سيفه وما استعان كفه على لجام

إنا حواريوك

مر نطف على شواطئ المدى

نبشر الجهالة العقيم بالهدى

وقال فى استحياء ما أثقله به الكلام

هذا فؤادى قد أبحته على موائد الوداد زادا

هذا دمى

قدمته مدامةً لكل راغبٍ ودادا

وقال يا مخلص الحروف

طعمت معك وارتويت فى عشائنا الأخير

والعهدُ والأمان بيننا موثقٌ حرام

●●●

لأن عندنا

قداسة الحروف كلمةً بلا صدى

وعندنا وراءَ كل كلمةٍ تبين عن هدى

ألفُ رجيمٍ يحرقون فى مجامر البخور شرعة الإله

وتلتوى أشداقهم أكذوبةً

فى موقف الصلاة

يعلقون إفك يومهم

على مواضع المسابح المرسلة الخئون

وتستظل اللعنة الحقود فى حلوقهم

تحت مباسم الشفاه

قال له فى نوبة استعلاء كبره

يا مدعى النبوة

أسلمه لقاءَ فضةٍ بلا بريق

لقاء ما ينضح من خيول صاحب الجلالة

بعد الإياب من مطاردات صيده الحرام

لا تعذلوه أيها الرفاق

قد كان سائس الخيول فى حظيرة الملك

مايو ١٩٦٨

العاشق الذى لم يمت

«مصر غداة الخامس من يونيو ١٩٦٧»

من يومها ما ذاق طعم النوم جفناها

ما اكتحلت بالنور مقلتاها

ما حنَّ فى ضلوعها سوى العويل والبكاء

وما تزال كل ليلةٍ

إذا اختفى وراء بابه القمر

تشق صفحة النهرَ

نشرت بمجلة «بور سعيد الثقافية».

وتذرعُ الشطآن كل ليلة إلى مشارف الصباح

تجوب ظلمة البيادر المطفأة العيون

بعد الحصاد المجدب الملعون

وتعتلى ذوائب النخيل

لعلها تشم ريحها الغريب

لعله إن يبرق الظلام عن شعاع إلفها الحبيب

جنيةُ النهرَ

مازال كل ليلةٍ

نحيبها يؤرق الضفاف

تجوب رحلةً على امتداد ألف ليلةٍ عجوز

لا ظلّ. لا صدى ولا قمر

لا بَوحَ بالخبر

فلا البيادر العقيم لبت النداء

ولا ذوائب النخيل تسمع الدعاء

وما تزال كل ليلةٍ

نحيبها يؤرق الضفاف

جنيةُ النهرَ

●●●

خاوته ليلةً ومات

عَدَوّا عليه ليلةً ومات

لو أنهم من قبل ما غالوه

خلّوه ليلةً

تعيذه برُقيةِ السلامة

ترش سكَة الضنى بشوقها أمامه

لو أنهم...

قد كان فارسًا

تعلم النزال من دياب

أباه كان

وكان عمه خليفة الزناتى

وكان خاله الأمير فى بنى هلال

وكان شاعرًا

سلوه عن تجارب السنين

وحكمة الزمن

لا بل سلوا الضفاف عن ملاحم الغناء

يذوب فى لهاته حماس عنتره

وينزوى أمامه فوارس البيان

ما ضنَّ بالحروف مرةً فى موقف العطاء

ما خاف يرفع الجبين فى ضراوة الوهج

إذا جبين الشمس سدَّ منحنى الطريق

ما قال عن حقيقةٍ ضلالا

ولا عن الذى يراه فى غد محالا

وكان راويه

ما أعذب الحديث حين تنتشى مجامع الصحاب

عن أدهم البطل

وعن فوارس المعامع المهولة

يردون ألف هامةٍ بسيف

ويعشقون زينة النساء

ويمهرون حبهم كواكب السماء

وكان مغرمًا بصحبة الغناء

موالهُ يا ليل كان سامر المساء

وكان للمضنين والمعذبين صدرَ أم

وكان لون غلة الحصاد

وكان لون ليلة السهاد

وكان ياما كان عاشقًا صبابه

علّم أهل العشق كيف ترتقى معارج السماء

لتعقد النجوم باقةً منورة

هدية الحبيب للحبيب

وكيف عاشق النجوم

يرود ألف عالمٍ غريب

يغبرُ القدم

ويصطلى لوافح الهجير

وينفق الحياة لا ينسى يواصل المسير

يجلِب بيض الرخّ من بلاد واق الواق

وشعلة الحياة من وراء سدة المحاق

الشاطر المخاطرَ الشجاعَ كان

الحامل المفاتح المذهبة •

إلى طلاسم العوالم المحجبة

عدوا عليه ليلةً ومات

من يومها

مازال كل ليلة نحيبها يؤرق الضفاف

جنيةُ النهرَ

● ● ●

وحدثت عن موعد الحبيب أعين الظلام

وللرياح تعتلى مناكب السماء قالت الكلام

وساءلت عرافة المساء فى قرارة النهرَ

ما حدثت إلا بأن عاديًا

عدا عليه ليلة.. ومات

لكنَّ فى أعماقها

يرن صوتهُ الودود

يعاود النداءَ من وراءِ ألف شاطىءٍ بعيد

تقوم تعقد الجدائل المرسلة المهوشة

وتنثنى تلملم الخوالج المرتعشة

ما عرَّجت تبحث عنه فى قرارة السواقى

ولا وراء حنية الجبل

ولا على أعتاب عالمٍ خراب

يلقى إليه بالذين يختفون فى نضارة الشباب

ولا استدارت تمعن النظر

على مشارف الضفاف أو وراء صفحة النهر

لكنها قامت تلف حولها رداءها

ولملمت أشواقها المرهقة الحزينة

ويمَّمت طريقها.. إلى المدينة..

يناير ١٩٦٨

خلود

«حفيدتى»

خلودُ. مـــا أبهى المنى يا خلودُ

للسحر ما يبدى الهوى أو يعيدُ

يا أولَ الأفراح يا منَّةً

وافى بها سمحٌ جوادٌ ودودُ

مليكة فى مهدها لو ترى

رأيتَ ما يوحى الصباح الوليدُ

براءةٌ توليك من سحرها

ما يطربُ اللحنُ ويشجى النشيدُ

وما يريك الوردُ من عطره

والطيرُ والدنيا بكورٌ سعيدُ

فيدفق القلبُ حنانًا لها

لو أنهُ صلدٌ عنيفٌ عنيدُ

يعنو لصنع الله فى خلقه

فيرفعُ الحمدَ إليه السجودُ

يا لاسمها لحنٌ شجىٌّ له

فى كل ترديد رنينٌ جديدُ

ألمح معنىً فيه يرجى به

عمرٌ بإذن الله وافٍ مديدُ

أسعدتِ أمًا بشرها غامرٌ

ووالدًا أوفيته ما يريدُ

وكنت لى فوق المنى غايةً

يا نعمَ ما أسعدَ جدًا حفيدُ

رضًا ونعمى لا يمارى بها

من ذا يمارى حين توفى الوعود

ادعـــو لـك الـوهـابَ مـن فـــضلـه

يهنا لكِ العـيش السـعـيـدُ الرغـيـدُ

مـــوفـــورةً بالعـــزّ حــتـى يرى

للسـعــد فى دنيـاك شـأنٌ فـريدَ

اكتوبر ١٩٩٣

نشرت بمجلة «بور سعيد الثقافية».

بعد السنين

«إلى رفيقة العمر»

ومــــا زلت رغم انهــــمــــار الزمــــان

وعــــصف المقـــادير بالعنفـــوان

ورغم الليـــالى التى طوحــــتنا

وراء العــــبــــاب وفــــوق العنان

أرى فــــيكِ مــــثلَ رؤاى المواضى

عــوالم ســحــرٍ ودنيــا افــتــتــان

ومــــازلت أســــتــــروح الليل عطرًا

يســـيل على شــفــة الأقــحــوان

مضى الزمن البكر وانسلّ يجرى

كما انسلّ فى الظلمة الأفعوان

ومازال مسراى فى مقلتيك

ومازال فى راحتيك الحنان

ومازلت ذاك المشوق المُعَنّى

يطير به الهُدبُ والمقلتان

نسيت الزمان فما عدت أدرى

إذا دار أو ما يدور الزمان

وخلفتُ من دونى العمر حتى

مضى كالسراب وذوب الدخان

كأن الذى سرتُ منذ التقينا

على درب أيامنا خطوتان

●●●

أتذكرُ يا ليل ذاك السهاد

وما كان ينبيك ذاك السهاد

أتذكـــــر إذ كنتُ أرحلُ وحـــــدى

مع الشـــوق والليل من غـــيــر زاد

أحطُّ رحـــــال عـــــذابى بوادٍ

وأُشـــعل نار اغـــتـــرابى بواد

وإن عـــدتُ من رحلتى لا أعـــود

بغـيـر صـدى قـبـضـةٍ من رمـاد

ومـــــازلتُ آرقُ يا ليلُ فـــيك

ويأرقُ فـــيك الحـــديث المعـــاد

إذا مــــا ألمّت بنا نبـــــوةٌ

وهاجت بنا صــبـــوات البـــعــاد

وصـــــرتُ إلى مـــوضعٍ لست ألقى

لعـــينى فى عـــينـه من مَرَاد

تصـــــورت أنى مع الـليـل أرخى

شــــراعىَ خلف الرياح الشّداد

وأبحـــر للجـــزر المتـــرعـــات

وأمـــضى إلى الأمل المســـتـــراد

واصبح لا مرفأً يحتوينى

ولابى سفينى إلى الشط عاد

●●●

ومازلت رغم توالى السنين

أحدق فيما تقول العيون

أطيرُ على موجةٍ من تمنٍّ

وارسو على شاطئٍ من جنون

واقرأُ خلف المآقى حديثًا

تبوح به همسات الجفون

واعدوا وراء انداح الصباح

وانسابُ أغنيةً فى السكون

وانبتُ زنبقةً فى التلال

واركض خلف شذى الياسمين

يفوح بعطر المساء الرفيف

ويهدى هداياه للعاشقين

لعينيك يا آسرى سطوةٌ

تغل القلوب وتسبى الظنون

عجبتُ تصول بها مستبدًا

وأنت شفيقٌ رقيقٌ حنون

جدة. مارس ١٩٨٢

أميرة البحر والصحراء

«مدينة جدة»

مــــا بـى إزاءكِ لا لهـــــوٌ ولا لعبُ

إنى مـــعـــذبتى من صــبـــوتى تعبُ

حــملتــهــا فــيك أشــواقًا مـــراوغــةً

لا نـأىَ يصـــــرفنـى عنهـــا ولا وصَبُ

وأنتِ بالفــتنة العــصــمــاءِ مــا ثلةٌ

وكم بكى دونهــا العــشــاقُ وانتــحـبـوا

نشرت بجريدة الشرق الأوسط.

هامت بفـــتنتك الآفـــاقُ صــــاديةً

وهام لما ســبــاهم حــسنُك العــرب

وأنتِ لا هذه أرويتِ ظامـــئـــهــــا

ولا أولئك نالوا بعض مـــا رغـــبـــوا

بدوتِ فى ســمــتك المخــتــال لاهيــةً

والوجـد فى مـهج العـشـاق يصطخب

غنّوك أشـــعـــارَ حبٍ لا يطاولهـــا

فنٌّ فـمـا أجـدت الأشـعـارُ والخطبُ

إن يكتبـوا عن مـجـالى الحـسن رائقـةً

فـإنَّ دون مـجـالى الحسن مـا كـتـبـوا

●●●

يا جــدةٌ ليس يبلى الدهرُ جــدتهـــا

مـهـمـا تناهى إلى أسـبـابك العطب

أمـــيــــرةٌ أنت تنســابين من مُضَرٍ

وآلك الـدهـر والأزمـــانُ والحــــقب

فى ثوبك اليعربى الوشى ساحرةٌ

يزينها الحسنُ والآدابُ والحَسَبُ

فإن تناهى إليكِ العزُّ كنتِ له

وإن تناهى إليك المجدُ لا عجبُ

أهديت للبحر نور الفجر مبتسمًا

فصار منه إليك العطرُ والذهب

وزينت يدك المعطاء شاطئه

فما لراغب فنٌّ بعده أرب

يا للأصائل عند الشط من فتنٍ

أوفى مغانيكِ والأضواء تنسكبُ

فى كل ركنٍ بهىٌّ آيةٌ عجبٌ

سبحان واهب نعماه لمن يهب

أميرةَ البحرِ والصحراء فاتنتى

نماكِ بالمكرمات السادةُ النجبُ

على رباك يد التاريخ ماثلةٌ

وفى حماك عيون الدهر ترتقب

إنى بروضـــتك الفـــيحـــاء آســـرتى

وفى يدى ريشــة القــيــثــار تضطرب

غنيت لحنى فـــهل توفـــيكِ رنتـــهُ

وهل يهـــزكِ فى إيقــاعـــه طرب

جدة. أكتوبر ١٩٨٣

وموعدنا موسم العائدين

«إلى طفلتى.. إيمان»

وعدتكِ.. من ضحكات القمر

ومن همسات النجوم البعيدة

تحدثُ عن قصص العاشقين

سهارى ليالى الهوى والحنين

أجىء بأصدائها الحالمات

لأصنع منها سلال الورود

وحين أجىء

أُلملمُ أشواق كل البساتين

وأجمعُ زنبق كل الروابى

وأعقد تاجكِ فوق الجبين

●●●

وعدتكِ أنسج ثوب الفرح

من البحر.. من زرقة اللازورد

ومن ألق الفجر. من فرحة الشمس

من ومضات العيون البريئة

وعدتك أختارُ ألوانه

من الورد والفل والياسمين

ومن نزق الطير فوق الجداول

ومن وشوشات العصافير جذلى

تباكر زهو الصباح الندى

وتحياه عطرًا ونورًا مطلاً

من العيد فى لون ألف فراشة

من الصبح تتداح فيه البشاشة

وعدتك يا طفلتى بالصباحِ

أقدمه باقةً من أقاحى

●●●

وأبحرتُ فى الليل خوفَ الوداع

وأطلقتُ للريح متن الشراع

فلستُ أطيقُ

إذا جئت أرحل

أنزعُ كفيك من راحتى

أزيح ذراعيك عن كاهلى

أسددُ سهمى إلى مقتلى

ولستُ أطيقُ

إذا ما أردت أدير الخُطَى

ووليتُ وجهى نحو الطريق

أرى فى عيونك يا أعينى

ضياعًا يرى فى عيون الغريق

ونارَ الأسى وانطفاء البريق

وآثرت ساعتها. طفلتى

أواجه وحدى عصف الحريق

سأبحثُ يا طفلتى عن هداياك

ثوب الفرح

وعقد الورود

وخاتمك الذهبى الموشى

وأشرطة الشعر

والصورِ المرحاتِ البريئة

وما شئتها من دماك الوضيئة

ولو طرت خلف خطى سندباد

وأبحرت خلف الرياح العصيّة

أجوب البلاد

وأجلب من كل أرضٍ هدية

لأجلك تغدو الرياح العواتى

نسائم صيفٍ رخىٌّ مواتِ

وعدتكِ والوعدُ فى أضلعى

ينام ويصحو ويمضى معى

عدينى تكونى كضوء النجوم

يحدثنى من وراء الغيوم

أرى فى محياك يا فتنتى

شعاعًا يضىء مدى خطوتى

وعدتك يا طفلتى أن أعود

وموعدنا.. موسم العائدين

جدة. اغسطس ١٩٨٣

إلى صغيرتى.. فى ليلة العودة

لـم يـبـقَ إلا لـيـلـةٌ. وأعـــــودُ

ليطل من عـــينيك؛ هـذا الـعـــيـــدُ

هـى بضع ســاعـــات ومـــا أدرى مـــتـى

تمضـى وشـــوقـى فـى دمـى عـــربـيـــدُ

وعـلـى رؤاى تـــواثـب الـــزمــنُ الــذى

أقـــصـــتـــه عن يومـى ليـــالٍ ســـودُ

لما غـــدوت إليكِ أحـــملُ فـــرحـــتى

وأنا وأنتِ ســـعـــيـــدةٌ وســـعـــيـــدُ

واليـــوم هـانذا أعـــودُ وفى فـــمى

يـشـــدو بـلحنك طائرٌ غـــريدُ

وحــقــائبى الملأى تراقب ســاعــةً

يجنى جناها الوالـهُ الموعــــود

فـــيــهـــا لأجلكِ مـــا وســعت رغــائبًا

من كلِّ لون شـــيقٌ وجـــديد

لعبٌ وأثوابٌ ومــــا شـــاءت منىً

أعنو لـهـــا وأطيع حـــين تريدُ

من ذا يردُّ رغـــيـــبــةً لمليكةٍ

حــسناء تنعم بالمنى وتجــود

يا أنعـــمًا تنهلُّ من أعطافـــهـــا

ويطيب فـــيـــهـــا المنهلُ المورود

يا للخـــدود أعبُّ من ريحـــانهـــا

هيـــهـــات يروى الكاس والعنقـــود

يا لابتـــســامــتــهـــا ترفُّ وداعــةً

والحسن فوق شفاهها معقود

ينْدى لهــا القلبُ العــتى ضــراعــةً

أين الـربيعُ وعــــيــــدهُ المشـــهـــود

قــالوا ملكت بهــا الحــيــاة فـقلت حــقـ

ـــًا إن ربَّ النعـــمـــة المحـــســـود

جدة.. يونية ١٩٨٤

عـيـد

عـيـدٌ وكـفـاى صـفـرٌ من أخـلائى

ونارهـم تتلظى بين أحـشـائى

عـيـد يجئ وبينى التـيـه مندلعٌ

وبينهم ورمـاد التـيـه أشـلائى

أجـوبُ فى قـيظه صـحـراءَ مـوحـشـةً

يا ليت يؤنسنى طيفٌ بصـحـرائى

لولا شـعـاعٌ من التـذكـار يبـرق لى

لـكان يعـصـف بى داءٌ على دائى

نشرت بالملحق الأدبى لجريدة «المدينة المنورة».

يـأيهـا العــيـد كم هيـجت فى خلدى

وكم أثرت شـجـى المسـتـغـرب النائى

كم مــرَّ عــامٌ ومــا تدنيك قــافلةٌ

إلا تـوجــــــــستُ مـن ريـحٍ وأنـواء

إن كـانت الناسُ تسـتـدنى خطاك فـقـد

أمـسـيت والليلَ والتـسـهـيـد أعـدائى

رفــقــا بقلبى. لماذا جـئت تظمـئــه

ومــــا لـديك لقـلبـى فـــضلةُ الماء

ذكــرتنى بليــالى العــيـد فى وطنى

ومــــا يرقـــــرق من عـطرٍ وأنـداءِ

ومـــا يطوف بأهلى من مــبــاهجــه

ومــا يبــيتُ على شــوقٍ أحــبــائى

أطيــافــهم لمعٌ خــضــراءُ نـاعــمــةٌ

يرونهــا حلمًا فــيــمــا يرى الرائى

حـتى إذا أشــرقت بالعـيـد طلعـتـه

تراكــضــوا كــفــراش حــول أضـــواء

يلهون بالشمس إن أضحوًا وإن عتموا

يلهـــون بالبـــدر منهــــلاً بلألاءِ

لا يوجســــون من الأيام غـــائلةً

ولا يبــالون فى الدنيــا بأعـبــاء

وجـئتَ يا عـيـدُ منســلاً إلى زمنى

. وفـيك مـــا فـيك من نعـمى وآلاءِ

أغـريت يا عـيـدُ بالأفـراح أفـئـدةً

ومـا اسـتطعت بهـا يا عـيـدُ إغـرائى

دنيـــاى تمضى نداءات ورجع صـــدى

فـــخلنى لنداءاتى وأصـــدائى

جدة.. اغسطس ١٩٨٤

أعراف الموت والجنون

«عن ذكريات قاتلٍ قتيل»

ما علمه إنسانٌ كيف يلوّن وجه الحرف

لـكـن

علمه الناس جميعًا كيف يكون الخوف

عريان يلوب على شطآن الليل العطشى

ومد لى من رعب الأزمنة الصم البكم

يسـألها

لو كانت تسمع يومًا

مزقًا حائلةً تستر عرىَ اللهفة فى الأحداق

يستنطقها

لو كانت تنطق يومًا

حرفًا يتحسس فيه نسمة ظلٍ عابر

يتحين خلف خواء العين

هنةً يترقرق فيها - لو تتبدّى - معنى

قد يورق فى الأحداق شعاعًا

أو يرخى فى الأحناء شراعا

لكنّ هباءً ما يستحلب من ريحٍ جدباء

●●●

ملعونٌ وجهُ الخوف

وسرابُ الفجر الكاذب وتأويلُ الزيف

ملعونٌ ثبج البحر الفائر بالأنواء المتواثبة الهوج

لوما ينشل من حدقات الموج على صهوات الريح

طوفًا منداحًا فى هاوية التيه الأعمى

يساقط فى عينيه جنون اللحظة يستمطره حلما

مقرورًا فزعًا يتوفزه ظلُّ المرفأ والتلويح

وتخايله

أصداءُ بروقٍ تلمع خلف غيوم الرعب

يهفو لو كانت تورق يومًا

فى ساحة ما بين العينين وبين القلب

وعدًا تتحدد منه.. قطرةُ حب

●●●

مصلوبًا فوق سوارى الليل

على مفرق طرقٍ مهجورة

أسمعه ينزع من زفرات الموت

كلمات متهدجة الصوت:

لو أنكم

يا صائدى النجوم من حديقة القمر

يا مشعلين جمرها على موائد السمرَ

يا إخوتى الملمعين كالضياء

لو أنكم

أشعلتمو لى شمعةً نحيلة

تضىء دربى الملتوى عمى

تقود خطوتى المهيضة الكليلة

ما كان يؤذى ليلكم تقحمى

أو كان يضرى مشعلاً

حيالكم دمى

ما كنت - واعارى وواخجلتى -

اضطركم

إلى اعتساف ليل الصفو والمسرة

لكى تزيلوا عفنى وجيفتى

وقصتى المنكودة المشاكسة

لكى تعودوا بعدها من جديد

لتشعلوا أبهاءه

بالتوق والعشق وبالمؤانسة

●●●

منفيةً ساعاته الأخيرة

فى ليل الاحتضار والفرار

والنبرة الأسيانةِ الكسيرة

أسمع صوته

فى ساعة الصفاء والمواصلة

والكشف والخوالج المشتعلة

يقول يا أحبتى

لو أنكم فى موقف المجاهدة

أبحتموا لى ساحة الوداد

أعرتمونى خلعة المشاهدة

ولم تسدوا دونى الطريق

لو كان لى منكم تواصل المدد

لو أنه

ما ردنى عن وردِكم أحد

لو أنه

ما امتد بينكم وبينى

دهرٌ من الرغبة والتمنى

وليلة مطلولةٌ

بالدم والتجنى

● ● ●

من غير ما ينبس أو يقول

أراه فوق مدرج الذهول

يصير حكمةً بليغةً مبرأه

يقول صمتها

خاسئةٌ وخاطئة

لغات أعين البشر

لو تستحيل أنجمًا مضوأة

فيروزةٌ محشوة بالرمل والرماد

وبالمقولات البغايا الصدئة

● ● ●

داعرةٌ وفاجرة

ملامس الأكف فى العناق والقبل

إن لم تلن للمسة المسامرة

بريئةً وبرةً وشاعره

وترتمى فى القبضة المتاجرة

● ● ●

قضيةٌ زريةٌ وفاسدة

وصفقةٌ مع الزمان كاسدة

أن يفقد الإنسان حس الاشتهاء

ونبضة تومض فى تمايز الأشياء

من فرط ما نعريه الامتلاء

أو فرط ما يوهنه الخواء

أن تطمس العيون لا ترى تنافر الأضداد

ألا ترى من غفلة ما يستر الرماد

إذا توهج اللظى فى المكمن الدفين

وأن تلوك كل يومٍ ألسنٌ المعذبين

قصيدةً

مبتورة الإيقاع والحنين

فلا تثير لحظة من التوقف

إلا كما يثير إعلانٌ على الطريق

يضيء برهةً.. وينطفئ

إبريل ١٩٩٣

عودة..

عدوتُ إلى عرصات الجحيم

وجزتُ إلى سدرة المنتهى

وأبحرتُ فى لجج الصمت. مزقتُ فى التيه ألف شراع

غزتنى الرياحُ وناصبنى الموجُ. دقَّ على منكبىّ المراسى

فأبت بقايا حمىً مستباح

تبددت خلف شراعى ضياعا

وأبت التياعا

وأمسيت للطير نهبًا مُشاعا

تنقر قلبى النوارس تنزع من مقلتى الظلال

وعدتُ

على شفتى بقايا غناءٍ قديم

عن الحلم والريح والأمسيات العنيدة

وعن جزر الجن والخوف والخطوات الشريدة

أدارى به سوأة العجز والأوبة الخاببة

وأجدل فى الصمت خلف ظلال المرافئ

وخلف صدى الأعين المشفقة

بكفى أحبولة المشنقة

تدليت. أرجحنى فى الهواء الخواء

غدوت كبندول ساعة بيتٍ قديم

تدق لحونًا قديمة

بأرضٍ خراب.. خرابٍ.. خراب

● ● ●

حلمت زمانًا

بأن وراء البحار البعيدة

وخلف التخوم المضواةِ فى طرقات القمر

جبالاً من المسك والزغفران

وأرتال حور تناغم فى ضحكهّن النداء

وأعشب خلف الجفون المهيضة

مدىً تترامى إليه الظنون

ويبحر فيه اللظى والجنون

وأن وراء البحار العميقة

يلوح على الأفق نور الحقيقة

فأشرعت ساريتى للسفر

وأسلمت مجدافى المرح المستطار

لموجة عطرٍ لعوبٍ طروب

يداعبها فى المدى الاخضرار

وسرتُ أبعثر حلمى على الموج

أنثره فى عيون النوارس

أعلقه فى السحاب الدءوب

مواسم غيثٍ وبشرى حصاد

وأرشقه فى اندلاع النهار

مرايا من العشق والبوح والانتظار

وسرتُ وفى القلب عاصفةٌ من تمنٍّ

ولم أدر أنى وقعت أسيرًا

لدى لحظة الدهش المستبدة

وفى غمرة اللحظة الموغلة

تبينت أنى

نسيت الخرائط والبوصلة

وعميت عن طرقات النجوم

نسيت على الشط فى لمعة الألق الشاردة

ونشوتى الطفل

والتوق للرحلة الواعدة

ردائى

ودفتر علم حساب الرياح

وواجهت أنواءَ ليل الشتاء

وهاجرة الصيف والأحرف المبهمة

بعريى وعين عماءٍ كليلة

وأرجاءَ كابيةٍ معتمة

●●●

تسائلنى الريحُ عن صيدى المر عما يضم محارى العجيب

وأخجل إن تبدُ سوأةُ عريى

فتنهدُ فى شفتىّ الإجابة

فما أعسر البوح حين ينز اللسان المرارة

وينكفئ القلب فوق انكسار العبارة

وفوق التياع الأسى والحزن

ويبدو الكلام

معابر للتيه.. لا للوطن

إبريل ١٩٨٥

مملكة الموت

«إلى روح الشهيد عبد الرحمن الخولانى»

أكتوبر ١٩٧٣

لما تتفك لغات الدمع ويوصد فى قافية الشجن المر

قاموس الإيقاعات المتداعية الأولى

لما يتدافع ُمثل رجوم النار

سمتُ الأشياء إلى خارجها

لما ينفتق سديم الزمن المكرور القسمات

لنواجه لحظة أن نعتنق الموت فداء

لما تتداح خواءً كل طقوس الحزن المنطفآت بوجه الريح

ينهدّ الحد الفاصل بين تضاريس الكلمات الجوف

وقضاء السيف الموصد باب الأوبة

فى وجه الخور المرتد

●●●

ما بين وجوه الحلم النابض فى خارطة الوهم

ووجوه الموت الصائر حلما

الصائر مملكةً للبوح وللتبريح

المسرج فى الأودية الظمأى

بشموس النار وإقمار الساعات المجلوّة

الواعد فى الملكوت بألف حياة

ساعتها نغدو خلقًا آخر.

جسدًا يتخلق. يبعث. تنفخ فيه الروح

ساعتها

تبتدئ الأزمنة بداخلنا

يسقط من ثقب سماء العالم

تاريخٌ صدئٌ منحول

●●●

لما ينداح مخاض الموت

يغدو ملحمةً فى دمنا

زمنُ الأحلام المرجأة الأشواق

نتطهر من أرجاس الأوقات العجفاء الكسلى

وبروق سحابٍ صدئ لا يمطرنا غير الوهم

●●●

لما ينداح مخاض الموت

يتواتر فى إهلال الميلاد القدسى

دمنا بكنوز وعودٍ مخبوءاتٍ منسية

قربانا تأكله النيران

يستقرئ فى كل الأزمنة مواقيت الترحال

لمواكب تنزع من ملكوت الريح لتفنى فى ملكوت الشمس

●●●

لما ينداح مخاض الموت

نستجلى فى دمنا الإعصار المودع فى أبهاء الصمت

ننزع عنه رصد التابوت

نستكشف فيه الوهج الآسر نستنطقه حكم البوح الأسنى

نعطيه مما نملك جوهرة الأشياء

نمنحه دفء مواجدنا

كيما يمنحنا الأوبة فى أردية الموت القدسية

●●●

يا وطنًا أرضعناه الموت

واستسقيناه شآبيب الوعد المغلول

ما أروع ما يغدو الفتيان قصائد عشق فى أغنيتك

لا تخبو أبدا فى ذاكرة الريح

لا تسأمها فى سمر الليل حكايات الوصل الممدود

ما بين عيون الأنجم

وعيون الزهر الناشب فى القيعان الظمأى

يسقى مازال بماء الروح

فاغتبطى يا إيزيس

قد بدل أوزوريس مسار الرحلة آثر أن يقطعها برًا

●●●

يا وجه صبانا الماثل فى داخلنا عطرا

حدّثنا عنك الليل فقال:

كانت تشجيه نداءات الموت القدسى

فيظل يهوم فى أودية الليل الملأى بالأرصاد الهوج

يستدنى فى كل مساءٍ قبسًا من أقباس الموت

حتى استوفى أقباس الموت جميعا

واستوفى الشجن الماثل فى داخلنا .. عمرا

إبريل ١٩٧٦

آسرى الأسمر

آســـرى الأســــمــــر بالأشــــواق وافى

وســـقى الدنـيــا مـن الحب ســـلافــــا

ســـبح الحــــسن نـديا باســـــمــــه

وعلـى أعـــتـــابه صلى وطافـــــا

كلمــــا مـــرَّ بدربٍ يســـتـــبى

مــهــجًا عطشى وأشــواقًا عــجــافـا

نشرت بمجلة «صالون الربيع ببورسعيد».

مسَّها من سحره فانتفضت

توسع الدنيا دلالاً وانعطافا

آسرى الأسمرُ فى تحنانه

دانت الدنيا جنانًا وقطافا

●●●

طاف بالدنيا وفى أعطافه

أينع الفنُّ هدايا وعطايا

يلهم الصخر فيندى عوده

ويلين الصخرُ أنغامًا وآيا

تزهر الحكمةُ فى أسطره

ويذوب اللحنُ ترتيلاً ونايا

ما يزال الليلُ فى إطراقه

يسمع الصوت رفيفا فى الحنايا

إنها إيزيس مازال الصدى

فى ضفاف النهر حلمًا ومرايا

●●●

آســـرى الأســـمـــر مـن أى مـــدىً

جـــئـت بالأســـرار.. مـن أى زمـــان

تاهت الأعـــصـــرُ فـى بيـــدائهـــا

وانـزوى فـى ســـاحـــة الـدهـر المكان

والخُطى يـا نـيـل مـــــازالت خـطـى

والفـــتى مـــازال عـــود السنديان

أســأل الشـهـب رفـيـقـات الســرى

والروابى الخـضـر عن ســر الأمـــان

فــتـــجـــيب الأرض فـى ســرى أنا

عـــزة التـــاج وتيـــه الصــولجـــان

●●●

يعـــبق اللـيل بـأنفـــاس الهـــوى

والصـــدى الحلو وخـفـقـات الشـــراع

وفـــتى النهـــر يـغنى حــبـــه

يثـمل الليل ويســتـــرخى الشـعـــاع

كلمـــــا ذاب غنـاءٌ ظمـــــئت

للصـــدى الملتــاع فى أشـــهى مـــتــاع

تحـــمل الريحُ التـــبـــاريح صـــدىً

تاه فى الظلمـــة أشـــواقًا وضـــاع

وعلى البـــعـــد الضـــفـــاف انتظرت

فـــهـى لا تعـــرفُ مـــعنىً للوداع

●●●

الـربيـع البـكـرُ غنـوا حــــسنـه

أنـــت يـــا نـــيـــل ربـــيـــع الـــزمـــن

أى ســـــرٍ فـــــيــــــه لـم تـدر بـه

بـاح بـالأســـــرار صــــمت العلـنِ

كلمــــا انداح علـى الأفـق صـــــدىً

كـــنـــت يـــا واهـــبُ كـــنـــز المـــننِ

إن تكن أشـــــواقى اللهــــفى هنـا

عـــشـــقت وجـــه الربيع الحـــسن

فــأنا فــيــه أغنى صــبــوتى

وأنـا فــــيـك أغـنـى وطـنـى

●●●

منذ كم ألفٍ وفى الضــفــة مــالت

قــمم النخل يمــينًا وشــمــالا

شــفــهــا همس الجــوى فــانطلقت

تبــسط الأرض نســيــمًا وظلال

مـنـذ كم ألـفٍ وأربـاب الـهــــوى

أسـكـروا الـلـيـل دلالاً ووصـــــالا

أســمــعــوا الدهرَ نشــيـدًا خــالدًا

وحكـايـات مـن الـنجـــوى طـوالا

عــبــرت كل زمــان ومــضت

آيــة مـنـكَ وروحًا يـتــــــوالـى

●●●

أولا تـذكــــــــــر يــا نـيــل إذا

يشـــرق الفـــجـــر وتـأتيك العـــذارى

إنمـا يحـــــملـن أشــــواقًا ومـــــا

هـن يحـــملن إلـى النهـــر جـــرارا

ودت الـعـــــــــذراء لـو تمـلـؤهـا

فـتنة مما اسـتـوى.. مما اسـتدارا

حـين تخـتـال بهـا تـتـبـعـهـا

حـسـرةٌ فى كل عـين تـتـوارى

تـلـك يـا نـيـل عـــــذاراك إذا

هـن يـأتـينـك قـــدسًا ومـــزارا

●●●

آســرى الأســمــر هذى أعـــينى

أبحــرت فـــيك شــمـــالاً وجنوبا

شـــامـت الأرض التـى هـمـت بـهــا

عنبـــرًا يـزكــو وأنـســامــا وطيــبــا

وخطاكَ الخضرُ أنى خطرت

لونت بالخضرة الأفق الرحيبا

وعلى الشطآن أبصرت فتىً

يوسع الخطو ويستهوى الدروبا

يضرب الأرض فيندى زنده

بالجنى الحلو نديا ورطيبا

هامت الشمس على سحنته

وحباه الصخرُ بنيانًا عجيبا

❖ ❖ ❖

أيها الروح الذى يسرى إلى

كل دربٍ فى حنايا بلدى

ها هو ابن النيل فى كل مدىً

ثائر الخطو عظيم الجلَدِ

طمحت فى قلبه الأشواق أن

تورق الصخرة بالزهر الندى

فـــادنُ مـن أشـــواقـــه واغـــد بهـــا
جنةً تحــــيى مــــوات الجلمـــــد
وافـــض بـــرًا عـــلـــى شـــطـــآنـــه
واحـى فـى أشـــــــواقــــــــه لـلأبـد

❖ ❖ ❖

آســـرى الأســــمـــر إنا ههنا ... قـــد وعـــيناه دعـــاءً وغـنـاء
مـــا مـــضـــى قـــومٌ على آثاره ... بالمنى إلا وعـــادوا شـــعـــراء
ذهلت عن نفـسـهـا أحـلامنا ... ثم هامت فـيـه أحـلامًا وضـاءَ
وتخطت عـمـرهـا أشـواقنا ... وتولت خلفـه جـوعى ظمـاءَ
تلـك يا نيـــلُ عطاياك فـهل ... ترتجى الأشواق من بعد عطاء

إبريل ١٩٨٠

زجاجة عـــطر

«أهديت للشاعر حامد البلاسى فى عيد ميلاده»

زجـاجـة عطرى هل تداعـيت بالبـشـر

وهل ذاب فى عطفيك ما ذاب فى شعرى

وهل كنتنى شـــوقًا وأنسًا وبهـــجـــةً

وأنت إليــه نســمــةٌ بالهــوى تســرى

ومــا أنتِ إلا بعضُ مــا فى خـــمــيله

وإلا شـــعـــاعٌ من أفـــانينه البكر

تنـاهـت إلـى الـعطـار وهـى عـــوالمٌ

من النفـح والأنســام والعطـر والســحــر

فــأين شــذاهـا من تبــاريح وجــده

إذا اندلعت نارًا من البــوح والشــعــر

وأين مــحــيــاهـا من الروضـــة التى

بهــا عطره الفــواحُ ينداح كــالنهــر

زجـاجـة عطرى إن تكونى سـفـيـرتى

إليــه وإن تســعـى بمـا ذاع من ســرى

فـقـد لفنى عـبـر التـبـاريح شـوقـه

وواصلنى من دفــقــه مــوجـة العطر

ســريت عـبـيـرًا ضـاع فى ليل عـاشقٍ

على ذكـركم عــامٍ من العــشق لا أدرى

ومنذ مـتى والشـمس يحـصى ضـيـاؤها

ولما تزل تنهلُ فى مــيــعــة العــمــر

يولية ١٩٩٤

تحن العصافير ظمآنةً

في وداع الشاعر الراحل

حامد البلاسي

وأعـــجلك الموت عـن مـــوعـــدى

وأرجـــعنى منك صـــفـــر اليـــدِ

ألـمَّ بـدنيـــاك قـــبلى كـــأ

نـه منك دونى عـلى مـــوعـــدِ

عـــجلت فلم تحـــتـــشـــد للقـــاء

بشـــوق الســـعـــيـد إلى المســـعـدِ

كـمـا العـهـد فـيكَ إذا نلتـقى

طليق المحيا مديد اليدِ

ولم تتروّ ليسقى العطاشِ

أفاويق من بعد لم تنفد

تراميت للجزر النائيات

واغفيت من ليلك المسهدِ

والقيت رحلك خلف التخوم

وأبت من السفر المجهد

وآذنتنا بالرحيل المديد

وأسلمتنا للمدى الأنكد

نبعثر أوراقنا. نرتجيها

صدى من رؤى زمن أرغدِ

ونحتال كى تسترد العيون

ظلالاً تروح ولا تغتدى

فيا موغلاً فى عيون النجوم ار

تحالاً وخلف المدى الموصد

لشـــعـــرىَ فـــيك ارتيـــادٌ رهيفٌ

لعـــمـــرى فـــيك ارتحـــالٌ صـــدى

تـــراوحـــت بـــيـــن المـــروج الـــزواهـــى

أصلـى بهـــا الفـــجـــرَ إن يـولدِ

وباكـــرتُ فـــيكَ الشـــروق اشـــتـــعـــالاً

وســـاهرتُ فـــيكَ سنا الفـــرقـــد

وأنشـــدتُ أفـــراحك الراقـــصـــات

فـــجنَّ النشـــيـــدُ مـع المنشـــد

بـــأىِّ لســـــــــان وأىِّ جنـــانِ

أُناجـــيك فى العـــالم الســـرمـــدى

أيا مـن مـــلأت القـــوافـى اندلاعًا

قـــصـــائد مـــوثوقـــةَ المحـــتـــدِ

تجنُّ العـــصـــافـــيـــر ظمـــآنةً

وقـــد غـــادرتك بـلا مـــوردِ

وتـذوى الـعـطـور الـتـى بـايعـــتـك

مـــلـــيـــكًا لـــكـــل ربـــيـــعٍ نـــدى

ويمضى الجمالُ أسيفًا كسيفًا

لأنكَ ما عدتَ فى المعبدِ

ويستقرئ الشعرُ تاريخهُ

فيلقاك فى الواحد المفرد

تغنى وتعزف للعشق حتى

يُطارَ على جمره الموقدِ

وتنسج من حكمة الأولين

رداء البراءة للمرتدى

•••

خُطاك على الدرب مرسومةٌ

بلون الضنى فى انتظار الغدِ

وبالأرق المستفز الليالى

وبالحلم فى قادمٍ واعدِ

وبالغضب الفائر المستبد

لسوأةِ هذا الزمان الردى

وبالأغنيات وبالأمنيات

وبالتوق للفرح المسعدِ

بكل الذى حازه شاعرٌ

بنار احتراقاته يهتدى

●●●

فيا طائرًا فى جناح اليمام

ويا مصعدًا للمدى الأبعدِ

عهدناك تلقى علينا السلام

فهل أنت ملقيه فى المرقد

سلامك كان الرحاب الوضاءِ

وكان شفا النبع للوردِ

وكان المرادَ البرىء الدفئ

وكان الوداد وأنسَ الندى

●●●

لك الشمس والليلُ معشوقتان

تهلان بالفرح الموفدِ

بنور الضحى والتماع النجوم

وذوبِ اللجينْ وبالعسجد

لك العشقُ وهو مدىً خالدٌ

بغير غنائك لم يخلدِ

لك الله عند انسدال الغيوم

تناجيه فى البيت والمسجد

وتسجد للعزةِ المرتجاةِ

لغير الجلالة لم تسجد

•••

ويا عم آدم حُمَّ الرقاد

وكم من مدىً فيه لم ترقد[1]

لقد كنتَ ديوان حب تليد

تفرد فى الموتِ والمولدِ

وكنتَ رباعيةً لا تريمُ

ومن حيثما تنتهى تبتدى[2]

---

(١) عم آدم أحد شخصيات الشاعر الدرامية.

(٢) إشارة إلى ديوان الشاعر «رباعيات خيام مصرى»

وقــد مـــر عـــامٌ وعـــامٌ وعـــامٌ

وأنـت عـلـى الـنـار لـم تهـــمـــدِ

وهـا هــى تـلـقـى يـداك الســـــلاح

وكـنـت بـه فـــارس المشـــهـــد

سبتمبر ١٩٩٩

يا دفقةً من جنون الريح

من أين عطرك يا قـــارورة العطر

هذا الذى يوقظ الأحــلام فى صــدرى

من ريق النيل أم من نور جنتـــــه

أم من شــذاه الذى ينســاب فى النهــر

من الحــقــول ومن فــيض الغناء ومن

تأود المائســات الســمــر فى الفــجــر

يبــدين للنهــر ألوانًا مــشــعــشــعــة

مما تجنُّ به قــيــثــارة الشــعــر

من الشـروق الـذى فى المقلتـين صـحــا

ومن مـــرايا ربيع فــاض بالبـــشــــر

قـــارورة العطر والأســـرار عــاصـــفـــةٌ

من الغـــيـــوم التى تنهلّ فى الفكر

بوحى إذا شئت أو لوذى بصـمـتك مـا

ينداح فى الســر لا ينداح فى الجـــهــر

●●●

من أين عطركُ كـيف انسل فى خلدى

رؤىً وأطيــاف حبٍ وانعـــتــاق صـــدىً

وأدمـــعًا وجنونًا واشـــتـــعـــال لظىً

وثورةً وسكونًا واجـــتـــيـــاح مـــدى

لم ألقـــهُ مـــرةً يجـــتـــاحنى عـــبـــقًا

إلا لقــــيـتُ بقلبى طائرًا غـــــردا

من أين. كـــيف تراءى الكون منطرحًا

خلف الزجـــاجــة نســيًا تائهًا بددا

أوليـــتنى كلَّ دنيـــا لا أطيف بهـــا

إلا إذا كنت لى من دونهـــا مـــددا

ومـــا دنوت من الأشـــواق أحـــضنهـــا

إلا لقـــيـــتك من خلف المنى رصـــدا

●●●

تذوب فى العطر ألوانٌ مـــعـــتـــقـــةٌ

من الوصـــال ومن ذوب التـــبـــاريح

يفـشى حكاياتهـــا فى كل أمـــســـيـــةٍ

جـــفنٌ قـــريحٌ وجـــفنٌ غـــيـــر مـــقـــروح

كم كنتِ فـيـهـــا رســول العـــاشـــقـــين إذا

مـــا العـطر واثق بين الروح والروح

مـــازلت تســـعـــين بالأشـــواق واصلةً

بين الســـهـــاد وآهات المجـــاريح

حـــتى غـــدا العطرُ أيمـــانًا مـــوثقـــةً

من الصـــبـــابة بين الماء والريح

قـــارورة العطرِ بوحى فى المدى نزقًا

يضـوى مــحـيـاهُ فى نور المصـــابيح

الفــوحُ بوحٌ بأســرار مكتـــمـــةٍ

ناشـدتكِ العطر بوحى بالهـوى بوحى

●●●

قـارورة العطر كـيف انداح فى جسـدى

صوب السماء الذى من عطرك اندفقا

كــأنما لامــســتــه النارُ فـاندلعت

فـيه الحـميـا فـأودى خلفـهـا صـعـقـا

تصليـه أشـواقـهـا وجـدًا فـواعـجـبًا

لما يصــيــر بدفق الماء مــحــتــرقــا

يظل مــرتهنًا بالشـــوق يعــقله

ولو أتيــحت له دنيـــاه مــا انطلقــا

قـــولى بربكِ مـــاذا أنتِ فـــاعلةٌ

بعــد الذى كنتـــه فى أمـــره نزقــا

أمـــا كــفـــاه ومـــوج العطر يفـــتنه

إن ينجُ من لجـــةٍ فى لجـــةٍ غـــرقـــا

●●●

ســامــرتُ عطرك دهرًا مــا ظمـئت به

إذا بدا الكون حـــولى وهو ظمـــآن

كــان الربيع لنا صــهــبــاء نعــصــرها

مـــزاجـــهـــا حـــولنا روحٌ وريحـــانُ

إن صبّ لى قـــدحًا أوليـــتـــه فـــرحًا

وأنتِ لـى خلفـــــه دنٌ ونـدمـــــــان

يا دفـقــةً من جنون الريح تعـصـفـهـا

أغـــصـــانُ وردٍ تهـــادت فـــهى طوفـــان

رفـقًا بقلبى فـمـــالى بالعـــبـــيـــر يدٌ

وأنتِ جـــيشٌ له جندٌ وفـــرســـــان

مليكةٌ وبلاطٌ واحــــتــــشـــادُ رؤىً

يعنو لهـا خلف مـســرى العطر إنســان

نوفمبر ١٩٩٧

طائرٌ.. من زمان العذوبة

«الرفيق الراحل القاص عبدالله خيرت»

ظمئت إلى نبعك السلسبيل

إلى وردك المستحيل على ظمأ القلب فيئًا مغيثا

له فورةُ الذاريات التى تستحث المطر

ليدفق فى الصخر. يمنحه لذة الظامئين

ظمئتُ إلى رنَّة الهاتف الواثقة

معانقةً. برةً. عاشقة

إلى اللغة الرحبة المصطفاة الدفيئة

تقطرُ فى القلب سلسالها

تعيد إليه زمان المناغاة للحلم. للأمنيات البريئة

وتسلكه فى رحاب الموالين توقا

إلى حافة الأفق يستطلمون انداح الأهلة

ويلتمسون لدى الشمس أحجيةً مرةً مستفزة

لعلّ إذا انفرطت حكمةٌ أو تبدت لظىً أو تمادت

بوارق شؤبوب نار

تضىء الزوايا التى أعطشتها التآويل فى عتمة

الرحلة المبتداه

●●●

ظمئت إليك تجوب الدروب العصية

لتبحث عن مزلقٍ للكنوز الخفية

وتمنحنى فيأها الوارف المستطاب

قطافا من الألق النافر المستحيل

مواعيد فى اللغة اليعربية

●●●

أليفى. صارت خطى الزمن المستريب العجول

خيوطًا توثق بين ارتحالك فى الغيم واللحظة

المرتجاة الأليفة

غداةَ التذكر ترحالُ عمرٍ معنىً غريب

إلى ساحة الألق المستهام الطروب

وحتى التذكرُ ما عاد يوفى اندلاع المواقيت نارا

غدت مفردات الحنين شواطئ جدباء حيرى سكارى

●●●

أليفى. قل لى

أيحيى اندياحك فى الكتب. فى ألق الفن. فى

الموئل الرحب. فى ساحة الأغنيات العنيدة

دقائقُ تسترجع الأنهرَ الظامئات الشريدة

وحقك إن عشت دهرًا خصيبًا دءوبا

أحاكى الأماسى التى كنتها فى الزمان الرهيف

وإن لذت بالعبق المستقى من زمانك نفحًا وطيبا

فلن أستعيد سوى بعض ظل يلوح

ولن تقبض الكف منك سوى بارق لا يبوح

ولن يسعف الروحَ منك سوى عبقٍ طائرٍ

من زمان العذوبة

وتبقى بسمتكَ. بالروح. بالولع الفائر المستثار

زمانًا من البهجة الحلوة الآسرة

سدى يستعاد

فقد رحلت فى المسافات أبعادُ كل المرايا

وعدتَ كما عادت الأنجمُ الراقصات البروق

مدىً من حكايات عشقٍ قديمة

أسامرها فى اندلاع المواقيت شوقًا ونارا

أعاقرها مثلما تستطار الحميا

وأعتادها فى اغتراب المنافى

مهادا. وسادًا وزادًا وريّا

وأهفوا إليها؛مواعيد دفءٍ وحقلاً ودارا

وأحملها معطفًا فى انهمار الجليد

يلملم أشتات ليلٍ بديد

واعتنق اللحظة المستعارة من عالمٍ مستضاءٍ فريد

وأمضى بها رحلةً فى استباق البراءات للموطن

المستراد البعيد

●●●

أتذكرُ؟. واعدتنى نلتقى

وكنا كنجمين سارا على حافة الكون يمضى

بكل طريق عميق عصىّ

لكل شهابٍ مدار قصىّ

ولولا هنيهاتُ وصلٍ هنىّ

تبوح بها ساعةً فى اندفاق الأثير

تهدهدنا مثلما طائرين استفاقا على غيمةٍ من حرير

تهيم بنا. فى سماها نطير

وهيأت روحى كيف العناق

وكيف تشى ساعةُ الوصل بين الرفاق

وكيف تفرُّ العصافير جذلى

تغادر أحناء تلك الصدور المشوقة

تبادل إيلافها فى انداح المدى الاشتياق

وقلتُ أقولُ ويسعفنى القولُ حتى تمور بنا لججٌ

من كلام

وتحكى عن الزمن الفائر المستهام

وعن عمرنا حين كانت له

بكل غرامٍ عصىٌّ مرام

وساعةَ أزمعتُ أرسى على شاطئيك السفين

أتانى رسولك ملتاثةً فى يديه الرسالة

وفى مقلتيه انكسار العزاء الحزين:

لقد سبقتك رواحله المطفآت العيون

إلى ملأ العاشقين الذين مضوا للمآب البعيد

فعد واصطنع من وصاياه طوقا

وأبحر به خلف ما تستهلُّ الشموس

وطفْ حول أشواقه كلما

ظمئت إلى ساعةٍ من وصال

نوفمبر ٢٠٠٢

حكاية.. من ديوان البراءة

حكايةً

عن الرياح والهجير

وقصةً

عن وردةٍ وعن نهرَ

●●●

قد كان يُحكى أنه

فى ذات وادٍ سال مرةً نهرَ

ربا وفار واستدار وانحدر

وشق قلب الصخر ما استكان

وما ونى فى البأس عنفوان

وحينما استطاب شاطئًا وقرّ

كان المدى من حوله وكانت الضفاف

توثق العرى وتعقد الإلاف

ما بين أحداق الطيور فى السماء

وبين دفق الأرض بالعطاء

وبين أشواق الحياة فى البشر

كانت تقيم كل يوم حفلتين للسمر

عند البكور والصباح عيد

وفى زفاف الشمس للقمر

• • •

وكان يحكى أنه

باحت بسرٍ وردةٌ طروب

وحدثت

لما حبتنى الشمس منحةَ التواصل الدءوب

وحزتُ تيجان المثول فى المدى المباح لى

أدنيت من محافل الفراش حينما طوّف بى

دمًا سرى كالنار فى الوصايا

منحنه رؤىً

تواصلت فى أعين المروج

حملنه دينًا يبشر الصباح بالتألق المبين

●●●

لما اصطفانى النهر كى ينسلّ بى

وردًا من الجمر العتيق. سورةً

يخشع دفقَ الغيم فى حروفها النبيّة يهدى هدايا الماء للأرض المشوقة الحفية

صرت اشتعالاً للمواقيت التى توحى بسر الموج

تومى بالإشارات البتول

تلك المواقيت التى

ما أخلفت يومًا نداءَ

ما أذعنت للريح وهى تموء من خلف المدى

ما أنكرت لون الأهلّة

وهى بعد وليدةٌ

تنهلُ باسطةً يدا

●●●

وذات يومٍ قالت الرياح

للوردةِ الرفيفة الجناح

عجبت والإهاب ضوء شمعةٍ رقيق

والنفح همسٌ برعمٍ لبرعم صديق

والعودُ ظلٌّ ناحل كأنه

سرٌ من العشق الخبىء الجبان

يخفيه فى صدريهما عاشقان

وتشعلين فى المدى قيامة العبير

كأنه أشواق ألف طائر يطير

وبوحُ ألف شاعر مجنح القصيد

ومهرجان بهجةٍ وزهو يوم عيد

وترسمين صورة التولّهِ المشوق فى العيون

وتوقدين الجمرَ فى تواثب الظنون

وتبدعين عالم الأسرار للأحبة

فينطوى فى لحظةِ

خيالُ ألف عام

أما أنا

فإن صحوت غامت الأبعاد والرؤى

وإن خطوت ضجت الأرجاء بالنذير

وإن علوت هامةً

هوتْ بها أعنتى

لحيث لا إجارة لمستجير

●●●

وأفصحت مقالة الهجير للنهر

أنتَ الذى حاصرت دولتى

أسقطت غازيًا مدائنى

فصوَّحت مدينة مدينة

وقاهرًا

بقدرة امتشاق الماءِ والفراش والزهرَ

وزرقة الشطآن واخضرار أعين الحجر

والعطر وافترار ألسن الطيور بالغناء

وبالرضا والحب والسكينة

غللت ساعديَّ واستللتَ حيلتى

وسقتنى رهينه

●●●

ومرةً أرادت الرياح

أن تستبيح عنوةً ممالكَ العبير

لكى يميد عرشُ الوردة الأثير

فأطلقت من حجر هاسوا فى السموم

فانداح للعبير ألفُ محفلٍ كريم

وحيثما ترامت ثورةُ الرياحِ

كانت تموج الأرض بالأقاحى

حتى استوت فى كل ساحةٍ حديقةٌ وريفه

فعادت السموم والحسوم

مثقلةً متونها

بكل ما فى الأرض من هموم

●●●

ومرةً تجاسر الهجير

وراح يصلى النهرَ وقدة السعير

حتى يعود جثةً ممزقة

تنعى بقاياها الرؤى المحترقة

فهاجت الطيور والعطور والزنابق

وكل ما تحوى ممالك الحدائق

وانداح من أنفاسها ومن عبيرها

ومن غناء الشجو فى ثغورها

سحائبٌ صقيلةٌ ظليلة

تمتد فوق صفحة النهرَ

فارتد للهجير كيده اللئيم

وباء وهو محنق مندحرٌ كظيم

●●●

وفى صباح مستثار العطرِ راقصِ الشجر

الريحُ ماتت تحت سحةٍ من المطر

وانسرب الهجير خلف واحةٍ لفاءَ.. وانتحر

يناير ١٩٩٤

سيدى.. ها نحن عدنا

«فى تأبين الأديب الكبير عبد الفتاح الجمل»

رُدَّ لى صوتك وامنحنى شعاعًا

من بقاياك التى راوغننى دهرًا عنيدا

وأدرْ لى وجهك الملتاث بالحزن الطفولى وبالصمت العصىّ

هأنا أنساح فى عينيك كالطوف الذى يوغل فى النهر

ولا ينحاز إلا لمداه الأبدىّ

مولعًا أنساب فى عينيك بالتوق القديم

علنى أولد فيها من جديد

خلِّ أصداءك فى جنبىّ ترتد أعاصير مهيجة

علنى أرتد للوجه الذى بؤت به

من زمانٍ لم أجد لى فيه إلاك بقايا

كنت فيه حلم المضنين بالفكرة ظلَّ اللائذين المتعبين

هأنا أوغل فى عينيك أحصيها زوايا ومرايا

موفدًا من ظمأ الليل ومن ظل المواقيت الكنود

مجهدًا أبحث فيها عن دمى المرصود مذ كنتَ صبيا

تحتوينى كفك البرة إيناسًا وودًا وبراءة

وأحاسيس مفيضاتٍ مضاءة

هأنا أركض فى أبهائها

مثلما يعدو ضياء الشمس فى زهو الحقول

أقرأ النخل على الشطآن أرتد شعاعًا فى السماء

وأصلى تحت ظل الماء أصغى

لانذياح النهر مزهوًا بلون لكبرياء

وأرى فيها انتماء البوح فى عينيك للأرض البريئة

•••

ههنا كنت وكان النيل فى عطفيك مولودًا حفيًا

كلم الأكوان فى المهد صبيًا

وتجلى فى تقاويمك مفتونًا بكل المفردات

فتعلمت لغات الطين والملح وعانقت أهازيج الرياح

وتفيأت المدى الآبق حزنًا وانكسارًا

فى أغانى الصبية الملقين فى كل الدروب المتعبة

سيدى هذا زمانُ الشرفات الخربة

وأوان الصدق لما يتداعى مسغبه

لم يعد يومض فى الأحداق أشواقًا نبيلة

لا وما عاد سوى صندوق أقوال كليلة

غير أنى أحتمى فيك بسمتٍ

هو سمتُ الراية المشتعلة

أتحرى موعدًا

كنا ارتحلنا فيه من خلف الدروب الوجلة

زادُنا فيه رؤانا

ماثلات فى الأسى. مرتحلة

وندامانا خُطانا

حيثما توغل حتى الموت

إن رميًا بحد الصمت

أو رميًا بحد الأسئلة

●●●

سيدى

هأنا الساعة أمضى

أتملى مشهدًا

لم تكن إلاه مذ صرت إلينا

كنت أنت النهر تنهلّ ركامًا واقتحامًا وجسارة

والكتاب المستثار الحرف فى زهو العبارة

كانت الأرض التى أنبت تلفو بالحكايات القديمة

وتمارى فى تعاويذك أصداء السنين المطفآت

كنتَ أنت النيل تنسابُ صفيًا وحفيًا

تصطفى أبناءك الملقين فى التيه وفى حر الصحارى

كى يلاقوك على الماء نجيًا فنجيًا

ويساقوك تباريحك لما

كان مصلوبًا عليها البوحُ بالعشق نبيّا

قد أتينا سيدى كيما نرد الدين

لكن

بسلال مثقلاتٍ

بالشجى والحزن والبوح الكسير

سيدى والحزن لا يسقطُ دينا

قد أتينا

بين أيدينا مراءٍ

ومراسيمُ وأصداءُ وذكرى

قد تغشين السنين

وتعاقبن على أعتابنا صدقًا ومينا

فإذا حلّ اقتضاءُ الدين والحب علينا

أترانا قد قضينا؟

●●●

سيدى ها نحن عدنا

أوتدرى

منذ كم عامٍ طوانا الصمتُ لم نغش مواقيت التجلى

لم يضمخ عطرك السحرى أرجاء المكان

لم ندرْ فى حلقة الذكر نغنى بصلاة العنفوان

ونبارى

مثلما علمتنا الفرسان والخيلَ المجيدة

ونضىء الصفحة الأولى بألوان من الفن جديدة

صالة التحرير ما عادت كيوم المهرجان

والفتى المشبوبُ كالنيران يختال وراء الصولجان

غير أنّا

حينَ أبصرناك فى الحضرة تدعو الأصفياء

وتقيم الذكر والأوراد لبينا النداء

سيدى

ها نحن عدنا...

دمياط. إبريل ١٩٩٤

فى زمهرير الأوبة الأخيرة

ما عاد وقتٌ لاصطياد الأنجم المسافره

ولا لقنص الزمن المشبوب بالمغامرة

فالوقت لم يعد

مطيةً نجوس خلف متنها

لنجمع اللآلئ المخبوءة المبعثرة

ولم يعد فى الطوق أن يعاود المقاتل القديم

القفز فوق النار أو على أسنة المدى

نشرت بجريدة الجمهورية.

أو أن يعانق الردى

وأن يلامس الكواكب الملقاة فى السديم

فقد تداعى الفارس القديم

وعادَ حدُّ سيفهِ

قلادة مموهة

بالصدأ المنسى والقتام والخورَ

والنقع حينما كانت تثيره المعارك المولية

عادت وجوه خيله

وجه حكيم صامتٍ

يجوس فى أزقة الملاحم القديمة

كأنما يقرأ سفر الزمن المخبوء فى أكنة الفصول

●●●

ما عاد وقت للمسامرة

مع التماعة العيون بالدهش

ولا مع اصطلاء الوقت بالمقامرة

والعود بالأسلاب والقناطر المقنطرة

بعد انكفاء الريح وانطفاء لحظة الوهج

وبعد صمت الساح عن غنائها

وعن حديث الكرِّ والفرار والمداورة

فقد هوى إلى عرينه المكين

فارسُ قلب الليل بعد الرحلة الحرون

من بعد أن دق عظامه الوهن

وانداح شيب الرأس يحصى كم مضى من الزمن

وكم تبقى كى تحين اللحظة المؤجلة

لكن لعله

مازال فى القلب المعاند الكسير

أثارةٌ من نفس مراوغ أخير

تحاور البقية الملقاة خلف حائط الزمن

حوار من يغالب انكفاءة الوسن

لكى يجوس فى المرافئ القديمة

يبحث فى ملامح السفائن المولية

عن وجه تذكارِ مسافرٍ قديم

أو رقم هاتفٍ مضيعٍ

أو بعض أحرفٍ

تلقيه برهةً

قدام بيت لم يزره من زمن

لعل سلوى تدفئ البدن

فى زمهرير الأوبة الأخيرة

لعل مشهدًا

قد كان مرةً يؤجج الحنين

ويودع الفؤاد فرحة السنين

وعنفوان اللحظة الأثيرة

تمثل فى عتامة الضمير قمرا

وأنجمًا منيرةً ولحظةً مثيرة

لعل هاتفًا

قد كان ليلةً يومئ بالحقيقة

ويشعل الليالى الأليفة الصديقة

لعلّ دربًا قد حباه مرةً

أنسامه ونفحه وماءه وظله

لعله. لعله. لعله

أغسطس ١٩٩٨

كيف بى؟!

حينما ألقت بى النقمة فى جوف الليالى

واستبدت بى المدارات التى تقذف بى

فى جنون اللحظة الملقاة فى الأفق العصى

أدمن الترحال فى الأرض التى استعصت عليها الريح فى جدب المواسم

متعبًا أعدو لكى أوجز أبعاد المدى

بين وجه الحلم والتوق إلى ساعةٍ ينبيك التدانى

●●●

حينما تنثال بى الظلمة إيغالاً وتمزيقًا وجرحا

ويغشينى الدم النازف لا أبصر صبحا

عندما تصدح فى لحنى أصداء النبوءة

فأرانى مرغمًا أنداح فى الحلبة يغرى بى عواءُ المنكرين

وحوالى المدى تنهل من لون جراحى الموغلة

وأرانى كجوادٍ مثخنٍ

آذنته الشهب الملقاة فى الليل ضرامًا واحتداما

وهو ينهل بها عدوًا وقيظًا واقتحامًا

كيف بى لم أنتبه للكون يصحو

مرحًا يحدو سناه موكبه

لم أفق للبوح فى صدر الحقول المتعبة

فتموج الأرض أنسامًا وظلاً وطيورا

ومروجًا معشبة

●●●

كيف بى لم أسأل الطير الذى يوشك أن يهوى صريعا

عندما يشنقه القيظ على حافة ينبوع صدىً

كيف لم ينزع من الطوق بقية

ومن الموت انعتاق الروح فى النزع الأخير

ثم يرتد به ريحًا على وقد الهجير

علّ نبعًا ينزوى بين الشعاب

يهبُ الظمآن دنيا

توسع الأفق طليقا

بعد ما قد جن يأسًا وحريقا

●●●

حينما كنتُ مسوقًا بقيودى

لشفا المحنة سوقًا همجيا

مثلما تخترم الفرية والزورُ نبيا

وأنا بين خيارين هما

أن أخوض النار موسومًا بوسم الآبقين

أو أخوض الحلبة المذكاةَ تؤوينى بشارات البراءة فأرانى موغلاً

كالسيف منهلاً بلون الكبرياء

ومجازًا من تواريخ الإباء

كيف بى لم أنتحل معنىً بريئا

لاقتحام الظلمة العمياء أرجاء دروبى

وارتطام الحلم بالنار التى بين الضلوع

أوليس القدرُ المنداحُ يومًا

بارتيابى وعذابى

قد يواتى

بالذى لا يسعُ الفكرةَ أن تغشى مداه

قد يعمى

لا يشى بالحكمة الفصحى تجلى ليقين

كيف بى

لم يبادرنى حوار الزهرة الوسنى مع الصبح الندى

وحديث الفرح المنداح فى وجه صبى

حينما يحظى بما يدنيه روحٌ أبوىّ

كيف بى

لم أدر فى مهرجان الضوء واللون بأعراس الأصيل

ثملاً بالخدر الملقى بأعطاف الحقول

حين تدعو الشمس للرقص وللعزف المدى

فتواتيها به فى الشط قامات النخيل

وقدوَدٌ

شفها الوجدُ فمالت

فى صدى نايٍ وموالٍ ونيلِ

● ● ●

حينما أمسى ضميرًا قلقا

تستبينى الريبة الحمقاء. تكوينى كجمرة

عندما أوغل فى غيهب فكرة

أنكفى خلف نداء غم بى

كل عزمى أننى أهتك سره

كلما أوهمت دربى موصلا

وزدت فى الظلمة إيغالاً وحيره

كيف بى

أنقب الليل عن السر ولا

أنثنى للقلب أستلهم فجره

لم لا أنساح فى النور إذا

شعَّ من لمح على البعد لنجمة

وإذا ما انساب فى إشراق بسمه

وإذا ما ندَّ برقًا ينجلى

فى سناه الدربُ موصولاً وضيّا

لم لا أرسل عينى إلى

ساحة الكون وسيعًا منتهاه

أتقصى السرَّ فى كل الذى

غادر الفكر إلى الكون وتاه

علّنى أحظى بما يعصمنى

من ضلال الشك يضنى خاطرى

ويعمى فى مداه سفرى

●●●

أتراني

إن لعنت الليل والظلمة والدرب العصى

وتراميت إلى الآفاق معصوبًا بما يوثق خطوى

ويفل القلب أن ينداح فى الغيم لرؤيا

ويداجى لغة الروح فلا تومئ يومًا بيقين

أتراني

بالفًا من سفرى المضنى مآب التائهين؟!

نوفمبر ١٩٩٩

عاشق الوردة .. والنار

« إلى الصديق الراحل شاعر العامية حجاج الباى»

غنّ لى أغنية الوردة والنار وبحّ لى

بالذى أدمنت أيامك تستوضيه عطرًا وجنونا

وترجل عن شفا الطوف الذى أبحرت فى أعينه

وامض فى تعويذة إيزيس التى رافقتها

فى ارتياد النهر نبراسًا دليلا

فى ارتحال الجسد المضنى إلى الأرض البعيدة

●●●

لُمَّ أشلاءك عبر الماء والظلمة والعشب وأصداء

النداءات العقيم

قبسًا من وهج الحزن ووردًا من تراتيل السكارى

سفرًا مضنئً على أشرعة الليل ووعدًا لم يحن بعد

ووقتًا مشرعًا بالريب والتوق وظلاً من رفيف

الوجع المنسىّ فى لون سلال الفقراء

●●●

مُدَّ لى أوجاعك المرخاة من أوردة النيل ومن حكمة

النخل ومن لؤلؤة الطين ومن ألوان أحداق الطيور

المتعبة

حينما ترجع بعد النصبِ الموهن لليل سرايا

●●●

ضمنى للموكب الموغل فى الصمت وأقرئنى تعاويذ

الرحيل

وسل الكهان ظلا من تسابيح المواقيت الحزينة

قبل أن يصاعد النهرُ شراعًا وسفينة

ويعود المركب المنساب فى الليل نقوشًا حجرية

وتوابيت ونوحًا وصبايا

مرسلات الشعر مصلوبًا على أجفانهن الرصد

الموسوم بالموت والحزن العقيم

ورقيمًا فى كتاب النيل يندا ح بسرٍ لا يبين

تتمارى حوله الشطآن والنخل وأصداء الأغانى

وتهاويل السنين

●●●

أيها الماضى إلى مسراه فى النهر العتيم

نبِّنا كيف دنا إسراؤك الموجعُ من ليل التناجى

كيف أفضى

كيف عاد الخطوُ مرهونًا بليلٍ

بعضه يوهن بعضا

كيف أعددت لهذا السفر الرفقة والراحلة وأشواق الندامى

دمك المشرع كالنار ضياءً وضراما

زادك الملحىُّ والراوية العجفاءَ والسيفَ المغطّى

بدماء الزمن المقتول صبرًا وامتثالا

عريك المنسوج من أحلام ليل الغرباء

ومواعينك ملأى

بارتعاشات المدى الممنوح للعشق القديم

وبراح التيهِ والوقت الذى يزجى مواعيد سلالٍ

لا تجىء

وتعاويذك للشمس بأن تورق فى المحنةِ فيئًا

عندما ينداح فى رحلته

آبقًا من شفة النار إلى ظل المواقيت الحرون

● ● ●

ها هى الملتاعة الجوّابة الآفاق تسلُّ شعاعا

مرسلاً من حكمة البرق ومن أشرعة الغيم ومن

عطر التسابيح الأليمة

تتحرى دمك المسكوب فى النخل وفى الماء وفى

لون الأغانى

فارسًا غيلَ بليلٍ. مهجةً. ظللاً. جوادًا وسنانا

ومدىً ذرىً فى النهر وفى الشمس وفى ذوب غناء المدنفين

فتمهل قبل أن تتسرب المهجة فى الماء لتلقاك

لقاء العاشقين

وانتظرْ توحِ إلى الطين مواعيدك فى كل حصاد

●●●

ها هو النهر يغاديك بروقًا وانطفاءً

ناسلاً من شفة الماء مواويلك

منسلاً بها

لعيون الطير والأرض التى أدمتك قولاً وبكاءً

حاملاً طميك أنداءً وظلاً ونشيدا

ورؤى مستنسخات من أغانيك اليتيمات الحزانى

من صدى فتيانك الملقين فى الريح مواعيد عصية

ونداءً وشاربًا من شفة القيظ ومن غيم الصحارى

●●●

يا جواد الرحلة المضناة بالملح وشؤبوب السوافى

ها هى الطير على الشطآن خضراء تحوم

حاملات من قرابينك للنيل الهدايا

فانطلق فى الماء حتى إن يحنْ موعدهـا

تورق الأضلاعُ من تحت الثرى خلقًا سويا

ومدىً أخضر ريانَ مديا

يتلظى فى أغانى الشعراء

يناير ١٩٩١

غَنِّ لى

أيها الطيرُ الذى يمرق من فوق شعابى

مصبحًا يقرئ هذا الكون أعراف السكينة

لاقطًا من شفة الصبح تعاويذ البكور المطمئنة

واثقًا فى كل ما ينبض فى خفق الجناح

ممعنًا ينداحُ فى مائدة الكون غدوًا ورواحا

ممسيًا يأوى إلى أكنافه البيضاء مزهوّ البراح

غنّ لى يأيها الطير فما آنست من قبل الغناء

لم أجد لى ساعة من قبلُ تهفو

للينابيع التى يدفق من قيعانها

نغم الصبح الذى ينسابُ أورادًا شجية

وتراتيل نبيّة

خلف أسرابك لما

تمنح الأرض طقوس الفرح المنداح فى الأفق غناءَ

لم أهيئ سمعى المثقل باللغو لكى يفرغ يومًا لصلاة

تتداعى من حلوق الطير. تومى

للجلاميد التى تغوى الصدور المستريبة

فأنا يأيها الطير المغنى

لم أقم خلف شعابى قبلُ ظلاً للشجر

حين ينداح إليه الطير ترتاح خطاها المتعبة

وتروى ظمأ الرحلة تستمنح فى الظل العطايا

وتوارى فى مدى الزرقة لون المسغبة

●●●

كنتُ انسلُّ قبيل الصبحَ كى أبنى تمثالاً مديد الراحتين

تتحامى النذر الملقاةَ فى أرجائه

أعينُ الطير فتنداح بعيدا

كنت أحمى منك فى أكمامها لون ثمارى

ربما قد كنت أجنى

حفنةً من سنبلات ميتة

كومةً من ثمر

ربما قد أعطبته الريحُ أو مستهُ أرواحٌ شقية

غير أنى

مجدب الروح مقرًا بدعاوى الغيبة

لم أحز غير اندلاع اليبس المنداح ما بين الضلوع

بارت الصفقة لما انطفأت

فى العصافير المنى والشجو فى رجع الترانيم البريئة

بيدى غلقت من دونى أصداء لحون مرتجاةٍ

مصطفاةٍ وجريئة

كنتُ أنهلّ بها نعمى وأنهلُّ حبورا

لو تواتينى بصوبٍ من ضراعات الغناء

عقلتنى حمأة الطين. رمتنى

فوق متن اليبس الجلمود ما اسطعت سبيلاً للسماء

وغداةَ الأوبة المرة للدرب العصىّ

واصطلائى لفحة النار على وقد الهجير

واعتلائى متن أوزارى بالقلب الكسير

غنِّ لى يأيها الطير اسقنى

من تباريحك سلسالاً معينا

فلقد أفنيته عمرًا حرونا

لم يلح لى فيه من صوبك ظلٌّ للغناء

لم يبح لى فيه من سرك ودٌّ واصطفاء

علنى يا طير أوتى

فى مزاميرك ما ضاع بعمرى من سنين

أكتوبر ١٩٩٩

من يوميات
ركن الدولة سيف الملك
وزير الملك العادل

اسمى.. ركن الدولة. سيف الملك

أشتغل وزيرًا عند الملك العادل

أتولى فى مسئوليات المملكة شئونًا عظمى

أقبض - إن يدعُ الأمرُ - على الشذاذ المجترئين على

ساحة مولانا الملك العادل

آمرٌ خدام القصر

أن تلمس أطراف عمائمهم أبسطة الممشى فى أبهاء القصر

إمّا يحلو لجلال الملك بأن يتمشى

يذهبُ ويجىء ويبرم أمرًا ما

أحرصُ إن يخرج مولانا فى موكب فرحٍ شعبى

أن تبدو جمهرة الملتفين حوالى موكب رمز العزة والسلطان

ووجوه الناس مكان الأقفية العجفاء

حتى لا تخدش سحنة مولانا النظرات البلهاء السوقية

أو ليست أبهة السلطان وزهو الملك

تستأهل أن تفعل من أجل فخامتها تلك الأشياء؟

●●●

أتولى فيما أتولى من مسئوليات المملكة العظمى

أن أعرف «هذا تشريفٌ ملكىٌّ خاص»

إن كان طهاةُ القصر أجادوا صنع حساء الملك العادل

أو كان الخدم المختصون ببيت الماء

قد قاموا بالمطلوب اليومىّ المعتاد

فى الساعات اللاتى تسبق إيقاظ الملك العادل من نومه

أولست أقول

إنى أتولى فى مسئوليات المملكة شئونًا عظمى؟!

●●●

يشتد العجب الحائر بى

لما أسمع أقوال حكيم القصر:

يا ركن الدولة سيف الملك

هلاّ أبقيت لنفسك من تلك الأسماء نصيبًا؟!

يا ركن الدولة سيف الملك

لا أدرى كيف اختار الملك العادل شخصك كى تستوزر له؟!

وأقول لنفسى

لاشك بأن حكيم القصر

قد فقد الحكمة فى أبهاء القصر الملكىّ الواسع

●●●

وأجلُّ شئونى فى المملكة العظمى

أنى أتعقب ما يرويه الناس على الطرقات

عن مولانا الملك العادل

وخصوصًا فى مسألة العدل

لكنى والحقّ أقول

لم أسمع مرة

من ينتقد الملك العادل فى موضوعٍ ما

لايجرؤ.. لا. لا يقدر.. لا لا لا

لم يحدث رغم معاناتى فى هذا العمل المجهد

أنى أبصرتُ أناسًا ينتقدون الملك العادل فى موضوعٍ ما

●●●

أحيانًا يسند لى مولانا العادل أن أتدبر فى أشياء

ليست فى الغالب مما يسند للوزراء

لكنى

وبأسرع مما قد يرتد إليه الطرف ألبى

أوليس الواجب أن آتمر بأمر ولى النعمة

أوليس العادل ربّ الجند وربُّ السطوة والسلطان؟!

دلونى عن أى وزيرٍ

فى أية مملكةٍ ما

لا يصدع طوعًا أو كرها

لولىّ النعمة رب الجند ورب السطوة والسلطان!

●●●

أعترف بأنى أقف أمام الملك العادل مرتجف الأوصال مدلى الأذنين

أعترف بأنى

لا أجرؤ أرفع طرفى لحظة

فى سحنة مولانا المتلألئة بنور الملك ونور الحكمة والسلطان

أوليس الواجب أن يحترم الواحد منا من يعلوه قدرًا ومكانة

●●●

أنا جدٌّ حزينٍ. جدٌّ حزينٍ. جدٌّ حزين

فالآن تواترت الأنباء لدىّ

أنى أصبحت لدى مولانا الملك العادل

كحصان المركبة الملكية

لما يبغى أن يستبدله بحصانٍ آخر

ليساق إلى الأسطبل يكابد حتى يدنو منه الموت

وأقول وريح الدهشة

تجذبنى للأعماق المعتمة السوداء

أأكون بلا وعى أهدرتُ شئونى

فى مسئوليات المملكة العظمى

يا بؤسك يا ركن الدولة

يا سيف الملك

يا عمدة ملك الملك العادل

سبتمبر ١٩٨١

التِّيه.. في الزمن الأرقط

١ - الإبحار

تبيعنى أرصفة الموانى

ويشترينى الليل والأمواج والغيوب

بعملة زائفةٍ كذوب

●●●

تلفظنى المرافئ الحزينة

تقذفنى للغيم والدخان

وتستبيحنى العاصفة للقرصان

●●●

تقيئنى البحار للبحار

تشنقنى أشعة النهار

ويلتوى بى الليل والمدار

●●●

أركض فى دائرة مغلقة الأنحاء

يدفع بى للبدء الانتهاء

وبحّة الصدى لبحّة النداء

●●●

يحتكم الظلام فىّ للرياح

ويستبينى الليل والصباح

يسلفنى لحتفى المتاح

٢ - الاحتضار

أتمدد فى أروقة الليل بقايا من مجدافٍ ضال

أسأله أن ينسينى حزن المرفأ والترحال

أن يصلبنى فى العتمة تمثالاً ثلجيًا أخرس

فأنا ما عادت تنطقنى أحزان الأشرعة المطوية

إلا بحكايات الصمت المنسية

●●●

هل أملك والأشواق على أشرعتى مطفأة الأحداق

ودروب الليل المغلولة فى أصداء القمر الميت

تسلنى مولودًا أحمل فى أردان الليل بطاقة موتى.. ميلادى

هل أملك إلا أن أتحدر صمتًا. أن أتقطر موتًا. أن

أتضور إعياءً.. ذعرا

هل أملك إلا أن يتداعى قمرى أن يتبدد ظلاً ظلا

هل أملك إلا...

٣ - المرايا

ويلى من هذا الزمن الأرقط

زمنى المصلوب على شرفات الأبنية العالية المرتاعة فيه

قدرى

المسترسل فيه رغمًا عنى

فى طوفان الأجساد المتلاصقة المبتلة عمرى

الناتئ فيه وجودى مثل الحرف المغترب على معجم لغةٍ

همجية

النازف فيه لسانى

كل ضراعات الألسنة ليبحث عمن يستنطقه حرفا

الخاوية منى أيامى فيه على أبهاء الدور المتلألئة

بحكمة هذا الزمن الغول

زمن الماضين بلا أحلامٍ فى أزمان العودة

زمنٍ أتطلع فيه فى المرآة فلا أنحاز لوجهى

لا أدرى إن كانت قسماتى شائهة تبدو

أم أن مرايا العصر

لا تعكس إلا الصور المتأنقة العبقة

آه.. يا ويلى من هذا الزمن الأرقط

فبراير ١٩٨٤

المدينة.. والقلادة المفقودة

مدينتى..

عذراءُ كانت تمرح الأمواج فى عيونها البريئة

صبيةٌ ندية حيّة

الفجر كان خصلةً من شعرها المضفور بالغناء

تلقيه كل ليلة. تنثره ضفيرةً ضفيرة

على الشواطئ المترعة الخضراء

وعندما كل صباح يشرق الصباح

تسحبه. تضمه إلى كنوز صدرها

وتلقط اللآلئ الصغيرة المضوّاة

تصنع منها عقدها البهىّ طيلة النهار

●●●

مدينتى..

كانت على مشارف اللظى غمامة

ترقرق الأنداء فى ضراوة الهجير

فى حضنها الوثير مرفأً لكل مستجير

فى كل عام

من قبل أن تهل طلعةُ الأحبة

تقرأ فى عيونهم لهفة الاشتياق

تحس فى عبير ريحهم حرارة العناق

تمد راحتين برّتين بالسلام

وتنثنى تهيئ الطعام

تعد سهرة المساء للغناء والكلام

●●●

كانت مدينتى

دارًا توثقت بساحها وشائج الحنين

الألفةُ الودود بسمةً تضوئ العيون

والكل يحملون فى اسمها قلادة مزينة

تعطرت حروفها بألف سوسنة

وعاء ذكريات أعصر قديمة

تحنٌّ لاستجلاء ضوئها العيون

لما يغبش الرؤى

غبارُ رحلةِ الزمن

تميمةً إذا الزمان جار

تمسحت بها العيون فى ضراعة الوله

وفى خشوع الحكمة المنزلة

●●●

مدينتى..

عذراء كانت قد تهيأت لموقف الصلاة

خنساء لكن لا دموع فى عيونها ولا حزنَ
لكنّ شعرًا ذاب فى العواطف الرقيقة
وغنوةً نديةً تجاوب الحقيقة

●●●

قرأتُ فى حكايةٍ قديمة
أن المحارب الجسور «أوديسيوس»
قد غربته الحربُ عن مدينته
وحين عاد لم يجد معالم الدروب
رأى مكان داره
سوقًا لباعة النحاس والخزف
وحلبةً
تصارع الوحوش فوقها عجائز الرجال
قد التقيت فى مدينتى بألف «أوديسيوس»
وألف ساحة لباعة النحاس والخزف
عذرائى الممراح تاه خطوها عن الشواطئ البريئة
ولم تعد من قبل أن تهل طلعة الأحبة

تمد راحتين برّتين بالسلام

وضاع فى أركان بيتها القلادة المزينة

ولم تعد مزارها التميمة الملونة

ولم تعد تذوب فى شعائر الصلاة

لأن ساحة النحاس والخزف

تسد من أمامها منافذ الدروب

فبراير ١٩٧٤

الكلمة ذات الوجه الريح

تتمدد فى أعماقى الكلمة ذات الوجه الريح

ذات الأبعاد المستأنية على شطآن الجدب

أحملها سيفًا . تابوتًا . كفنا

بيتًا . بستانًا . وطنا

وتذيب ضراعة أشواقى شجنا

أقرؤها

ملحمة تصهل فيها خيل الحق ويزهى جند الألوية المنتصرة

أطرحها فوق رماد الرايات المهترئة زيفا

أركزها

نصلاً ممتدًا فوق رماحى المترامية لوجه الشمس

أعقفها ألف هلال

من فوق مآذن تضرب فى أعماق العتمة قبل بزوغ الفجر

●●●

من خلف تهاويم الأقنعة البالية الشوهاء

تضرى الأكذوبة لما تتمثلنى مسخًا بشريا

تتلون كالحرباء مداراةً ودهاءَ

لكنى

أستلُّ مُداى الكلمة ذات الوجه الريح

وأجاهد أن أرتفع إلى مدرجة الألق الناضح من أفياء الساعات المجلوة

وأصارع وحشًا أسطوريا

قد أكبو فوق الصخر فيدمى رأسى

تتشقق جبهتى المصلوبة تحت الشمس

تتثلم فى كفى المدية. أنزف حتى تخوى أوردتى

قد أسلم أنفاسى المجهدة على ساحات المعترك الدامى

وأموت ووجهى صوب الشمس

اتحسس فى أعماقى الكلمة ذات الوجه الريح

وأجاهد أن أبقى منتصبًا

●●●

أحيانًا أتمثلنى

أحمل فى أردانى سفرًا أسطوريا

نقدًا مضروبًا فى أزمان لم يعرفها إنسان

ما عاد يترجم فى زمنى عن معنى

أحمل طِلَّسْمًا غامت فيه ظلال الأحرف والكلمات

أحيانًا أبدو

وكأنى أفد إلى دنياى غريبا

أبحث عن لغةٍ قد توصلنى

لعيون تنكر فى تضاريسى الملغزة البكماء

لكنى أغدو

كقطاة ظمأى تحلب وهج الريح

فأعود إلى عالمى الموغل تحت ثيابى

●●●

إنى أبصرت رجالاً

لما تضرى الأكذوبة زيفًا ومراءاة

يذوون لما تذوى أوراق الأشجار العطشى

ورجالاً ينتحلون وجوه القديسين

لعيون الذئب وأنياب الأفعى المتربصة بليل

يعصف بى وجه الريح المغرى بالإذعان

لكنى عجلاً أوقظ فى عينى عيونًا

يتخايل فيها الوعد وتندى أشواق الإنسان

أتذكر فى أعماقى الكلمة ذات الوجه الريح

أتصور أنى لستُ وحيدًا

وأرى فرسانًا محطومى الأسياف ومجروحى الهامات

ورجالاً فوق الجندل مصروعين

وأرى الأكذوبة تهوى خلف حطام الوحش الأسطورى

فأسير ووجهى صوب الشمس

مارس ١٩٨١

صورة

رأيته.. عرفته. رداؤه ومعطفه

رآه من يعرفه

رآه من لا يعرفه

وكان يحمل القلم

وغالبًا صديقنا ما يحمل القلم

رأيته أمسية فى مجمع الصحاب

يتلو عليهم من بناته رائعة جديدة

خيلت بعدها أنى ربما سمعت شيئا كالذى يقول

لكننى والحق ما أقول

لم أدر أين ومتى

●●●

ومرةً رآه واحدٌ من الصحاب

قد كان فى شىء من الكلام علّمه

أعاره ذات مساءٍ قلمه

ما راعه إلا صديقنا المعنىّ مرةً

وهو يلجُّ فى الجدال والمخاصمة

فيجترى ويستعير دون خشية فمه

●●●

رأيته فى مجلس القضاء مرةً

ومرةً فى مجلس المنادمة

وساعةً أراه شاعرًا

يسوق فى تهدج الكلام حِكَمَه

وبين يومٍ وغدٍ

أراه عزّافًا يناجى نغمه

أقول فى ضميرى الصدى أؤنبه

لاشك تنمو عنده مواهبه

أعجلَ مما يستطيل شاربه

●●●

حاججته فى مذهب الفنون مرةً

بغية أمرٍ شاقنى أن أعلمه

وبعد شوطٍ مجهدٍ فى ساحةٍ محتدمة

تعلم البريق فى عيونه وقال

الفن أيها الدعىُّ ريشةٌ ومقلمة

●●●

وسرتُ خلف غفلتى أجادله

عما يساوى الفنُّ ما يعادله

قال يساوى الفن أن نمنطق الحياة

أن نسلب الأشياء عمقها المسطح البليد

نغلف الحياة فى كينونة القدر

ونحتفى بالانتماء للقمر

بذاك نحفر اللحود للذين لا يسايرون منطق الحياة

وننقذ الحياة والبشر

ثم مضيت ومضى

وملءُ قلبه الوثوق والرضا

ولو رآنا حين ذاك أيُّ راء

لما درى

على شفاه أيّنا تلوح بسمة الغباء

مايو ١٩٦٥

فروسية

١

«عجبا ..

يتطاول فى كل الأمكنة

ويبرز فوق النصب المزدانةِ

فى أزمنة الأكذوبة

تمثال الكذب الفاجر

يجترء على تاريخ الصدق

ويشيع بالنظرات الفاجرة

خطى أبطال الزهو

تغادر قاعدة التمثال المهجورة»

●●●

٢

يا فارس عصر الزيف

عصر الكلمات اللاتى تلبس كل صباح ثوبا

تتداعى فى أردية الحيف

وتلوب على أحداق الخوف

تتقافز فوق نواصى الأحرف لا ترتد لمعنى

يا من أشهرت وأنت على صهوتك السيف

فى وجه الألق الناضح من أضواء الفجر

والمورق فى الأفئدة عرائش ورد نورانى

يتقطر عطرًا

ينداح فيذكى أشواق الحس البشرى

يا حامل راية سلطان التتر الهمجى

يا فارس قول الزور

يا مشعل نارك حتى تطفئ فى أحداق الورد النور

لا تفرح إن أعطاك زمانك سيفا

وأدان لقبضتك الفاجرة جواريك الممسوخة قبحا

وأذلّ لسيفك من يستمرئ فيه الذل ومن

يستعذب وطء النعل

إنى أعرفك وأعرف سيفك أعرف صهوتك المزدانة بالأصباغ

جرب يا فارس عصر الزيف

فى ساحة مجد كيف يواتى السيف

جربْ أن تلقى فوق الساحة رجلا

وانظر إن كنت ستبقى بطلا

●●●

قل لى

يا من يصلون إليك بأفياء الرصد المرصود

وعطايا الفَرَق الموغل فى الأزمنة السود

كم دينارًا أعطيت لصناع الألعاب الخشبية

حتى أعطوك حصانك سيفك. درعك. مهمازيك

كى تبرز فى الساحات ولست تغادر عن فرسان المجد فتيلا

●●●

مرحى

يا وتر الإيقاعات الذابلة الحائلة المهترئة

أن ألبسك الزمن النذل قلائده الزائفة الصدئة

فبدوت كطفل راح يخايل في بزة رجل الحرب المصنوعة للأطفال

ويفاخر مثلك لما يحمل سيفًا خشبيا

●●●

حتى خدامك.. ممسوخوك. مراء وسحنتك الهمجية

قد عرفوا فيك الذعر الناشب فى أضلاعك

ما تبصر يومًا ما ينبيك

عن هذا الذعر القابع فيك

حتى تتهاوى فرقًا

جرذان الليل المستخفية بصدرك

تحت الأصباغ وتحت رداء الزيف

يا فارس عصر الحيف

●●●

يا رصدًا يلمع فى أوراد الكذابين

لا أكتم علمك أنى جد حزين

إنى أبصر صورتك الملتاثة فى الطرقات

توهم أشباهك من نافلة المفتونين

أنا نلوى عنق المجد لنسترجعه للساحات البور

أنّا نحفر فى الجلمود دروبًا تمضى صوب الشمس

ونجاهد كى نبنى فى كل صباح ألف حديقة

كى يلهو بين مغانيها كل الأطفال

أنا نصنع كل شروق ألف غمامة

تمطر للناس الحب وتنبت فى أحداق الطير لحونا

وتحيل جبال الصبر جنى ومروجًا وعيونا

ولأنى أعرف أن على الطرقات وفى الشرفات

من يبصر فيك الوعد بعين جدٍّ غبية

من تستهويهم فيك ملامحك التترية

خوفًا أو ملقًا ومداراة

لا أكتم علمك أنى جد حزين

حزنًا يتراوح فى جنبى كبيد تُعْوِلُ فيها الريح

وغيوم معتمة سودٍ بكماء

لا تسقط إلا الماء الآسن فى أحداق الشمس

ديسمبر ١٩٨٣

دقات على إيقاع العصر الحجرى

أفزعنى يومًا أنى ألمح فى إنسانٍ ما

وجهًا لا أبصره يحمله فى اليوم الثانى

وأحاول أن أتبين فى إصباح اليوم الثالث

إن كان خداع البصر أضاع الرؤية من عينى

فيجابه وجهى اليوم الثالث بالعين الحرباء

تأخذنى الدهشة.. أسأل: كيف؟

وأعود فأذكر أن الأفعى - فيما علمنيه الزمن الأول -

تقدر إن شاءت أن تستبدل فى سنوات العمر مئات الأثواب

الرقطاء.

●●●

فى هذا العصر

إن يرم الرامى الرمية

فيصيب الأهداف المتعارضة الأنحاء

لا يخطئ مرة

تلك بلا مرية فى قول

مقدرةً أصبح يحذقها

سُراق الكحل من العينين الرمداوين

من باعوا الريح المرسلة الجوابة فى الآفاق

ومياه البحر ودفء الشمس ونور البدر الواعد بالأشواق

لأناس ما آنسهم وجه الريح

ولقومٍ لا تغسل أقدام لياليهم أمواج البحر

ولناسٍ ما حلموا يومًا

فى ساعة دفءٍ تحت شعاع الشمس

ولقوم عاشوا ألفًا ما زارهم البدر وماضمهم الأنس

●●●

آهٍ من زمن يغصبنى قلبى

يسلبنى نبض حنينى ولواعج أشواقى

يسألنى

لما تهفو نغمةُ حبٍ فى أعماقى

ثمنًا لا أقدر أن أعطيه وعدًا به

أن أعرف كيف يكون الضرب وكيف تكون القسمةُ كيف يكون الجمع

أن أعرف كيف أدارى خلف أساى الدمع

أن أحفظ قائمة الأسعار المشهرة على الأسواق

فالحب على أيامى

ما عاد كما كان العشاق قديمًا يأتلفون

شجنًا وضراعة نجوى وأمانى مضيئات وحنينا

بل لغز حسابٍ تعيا حتى تعرف فيه الحلَّ. سنينا

●●●

حتى إن سرتُ أدارى السوأة بالكفين

وبدوت وليس على جسدى غير الأسمال الصدئة

فأنا أكره أن تلبسنى رغمًا عنى ثوبك

●●●

حتى إن يخرس فى صدرى المعنى

حتى إن يذوَ على شفتيّ الحرف

أو أن تتداجَ الرؤية فى أحداق الكلمات

فأنا - معذرةً - أكره أن تتحدث باسمى

فأنا أحسبنى - رغم البكم البادى لك -

أقدر أن أفصح عن ذاتى المخبوءة تحت لسانى

وأنا إنسانٌ يرغب أن يعرفه الناس بسمت الفكر وما فى النبرة من إيقاع

وأنا إنسانٌ فى داخله - مثلك - ما يترجى أن يعرفه فيه الناس

يا من أعطيت لنفسك حق الكلمة باسمى

إبريل ١٩٨٠

صورةٌ.. للموت

نحن الشعراء

إن نطعم خبز اليوم

من ريع الأجفان المتكسرة ومن صولات النهد النافر

والخصر المتداعى سكرا

ألا نبصر عالمنا الأمثل

إلا فى خطرات القدّ المتداعى كبرا

أن ننفق عمرًا

لنلوّن بالأصباغ الشبقة

ظل الشفتين الكاسرتين الظامئتين

ونحاور شيئًا دقَّ وشيئًا رقَّ وشيئًا يتداعى

رجرجةً ونداءَ

تفتننا اللوحة نهوى عريًا واستخذاءَ

ونطير على مدرجة الليل هباءَ

أترانا بعد

وحين يبوء البعض بإثم البعض

أترانا نملك حق الرفض

لو طاغوتٌ

قد جاء ليسلخ منا جلد الوجه

كى يصنع أحذية الأجناد المستعلين على طرقاتٍ

كنا نملكها يوما؟!

مارس ١٩٨٤

من مغترب مصرى
إلى أمه مصر

قلبى إليك صبابات وأطيارُ

أهاجها فى الهوى طيفٌ وتذكار

يطير بى كل يومٍ خافقٌ ولهٌ

له على سبحات الوجد أذكارُ

من الرحاب التى عزت معالمها

بخير ما عزت الأوطان والدارُ

إلى الرحــاب التى أضــحى يســاورنى

إلى هواهـا لهـــيبُ الوجـــد والـنـار

أطوف حـول رحـاب الطهـر مـبـتـهـلاً

هـنـا وحـــولـى عـــمـــار وزوار

وحـــول أطيـــافك الـغـــراء يا وطنـى

تطـوف منـى أحـــاســـيسٌ وأفـكارُ

هنا أبثُّ ضـــراعـــاتى لواعـــجـــهـــا

وتســـتـــحـــيل لظىً فى القلب أوطارُ

وههنا مـــهـــجـــتى شـــوقٌ وملءُ دمى

يشبّ كـــاللهب المحــمـــوم إعــصـــارُ

يا مـصـر يا كـعـبـة الروح التى ظمـئت

من خلف نجـــواك أوتارٌ وأشـــعـــارُ

يا مـــصـــر إنّا على بعـــد الديار نرى

بمقلة الـروح كـــيـف الأهـلِ والـدار

تلقى الأحـبــة عـبــر الليل مــا برحت

قلوبنـا ولهـــيب الـدمـع مـــدرار

نبثهم ظمأ الأشواق والهة

ونشتكى بعض ما صرنا وما صاروا

يا مصر والألم المشبوب يعصف بى

وما يواتيه إعلانٌ وإسرارُ

بى من هواكِ إلى دنياك راحلةٌ

ولى إلى ذكريات الليل أسفارُ

يومَ الأحبة كانوا فى مودتهم

كباقة زانها عطرٌ ونوارُ

لنا على خطرات الفن أمسيةٌ

وللخطى فى دروب الليل أخبارُ

نرافق النخبة الأحرار فى لهفٍ

نسير خلف خطاهم أينما ساروا

نرتاد كلَّ قصىٍّ من شواردهم

ونزرع الليل والأشعار سمارُ

يا مصر قلنا فهل أجدت مقالتنا

يا مصر ثرنا فهل أوفاك ثوارُ

كنا وكانت ليالينا تذوبُ أسى

إذا تداعت بشرٌ فيك أقدار

نبيت نحلم بالآمال وارفةً

فينتهى بخطاك النصرُ والغارُ

بالأرض يمشى بنوها فى مناكبها

فلا يروعُ فى أنحائها جارُ

بالفكر نبديه حرًا لا نضاربهُ

وإن تجافت به فى الناس أفكارُ

فقد أرانا نبى الله سيرته

وانهلّ من زمن الفاروق آثارُ

فما سمعنا بذى رأى يقاد به

وما استبد به حيفٌ وإنكارُ

●●●

يا مصر والنيل يجرى فى مرابعه

لا مثلما انبجست فى الأرض أنهارُ

نظل نذوى على ترحالنا ظمأً

والأرض من حولنا جدبٌ وإقفارُ

حـتى نعـود إلى الشطآن تغـمـرنا

من راحـة النيل أنداءٌ وأمطارُ

مـا انداح فى الأرض روحٌ من نسائمـهـا

ولا تنفس أرجـاءٌ وأقطارُ

إلا إذا هبّ عـبـر النيل ساريةٌ

فـاستروح العطرَ آصالٌ وأسحارُ

●●●

اشـتـاق يا نيلُ فى مـغناك أمـسيةً

والليلُ حولى أهازيجٌ وأوتارُ

تروى النخيل إذا مـال النسيم بهـا

كم عـانق النيلَ أطيافٌ وأسرارُ

والشجو قـمـريةٌ تشدو على فنن

شدو الغـريب إذا شطت به الدار

يجـاوب اللحن فى الشط البعـيد فتىً

مـضنىً تقاذفـه مـوجٌ وتيـار

فيهتف الناىُ بالأشواق ضارعةً

واللحن فى جنبات الليل سيارُ

●●●

يا مصر قولى لأهل الحى معذرةً

إن جاز فى الحب والأشواق أعذارُ

ما طاف بالقلب سلوى لا ولا خطرت

ولا تناءيتُ عن أهلٍ وإن جاروا

حاشا يجور على الإخوان إخوتهم

مصر الودودُ سماحاتٌ وإيثارُ

والله إنى على ما فات من زمنى

وراح من عمر الأيام أعمارُ

وما تنقلتُ فى عرض الممالك ما

ألفيتُ شعبًا له فى الحب أقدارُ

كشعب مصر الذى إن مال فهو رضىً

وإن يواتِ بحبٍ فهو مدرارُ

تبلوه من فـــتنة الأيام جـــائحـــةً

وربمـا مـن أخ تـضــــــرى بـه الـنـارُ

فـمــا يزال بفـيض الحب يطفـئـهـا

ومــــا يـزال لـه فـى الحـب إصــــرار

النيلُ علمــه الإحـــســـان من زمنٍ

فــــالـنـيلُ بـرٌ وأهـل الـنيـل أبـرار

●●●

يا مــصــر كنتِ على مــرِّ الزمـان هدىً

والناسُ حــولك أشــبــاهٌ وأصــفــارُ

غنيت أنشـودة الـتـوحـيـد ضــارعـةً

والشــرك فـى الناس أوثانٌ وأحــجــار

ومــــا تـزالـيـن ديـنًا هـاديًا وتـقـىً

يقـــوده فـــيك أعـــلامٌ وأخـــيـــارُ

للهـــدى فـــيكِ وللذكـــر الحكيم سنىً

وللمـــســاجـــد فى واديكِ عـــمــار

طيــرى إلى قــمم الدنيــا مــحلقــةً

يــهـــــدى خـطـاكِ من الـتـنـزيل أنـوارُ

والله يا مـصـر مـا الدنيـا إذا اجـتـمـعت

كــيــدًا واضـــرم فـى أحـــقـــادهـا النارُ

مـصـيـبـةً منك إن أنتِ اعـتـصـمت به

وبات يحـــمـــيك بالتنزيل جـــبـــارُ

●●●

يا مـصـر تفـديك منى مـهـجـةٌ عـشـقـت

والعــشق يا مــصــر إجــلالٌ وإكــبــارُ

هــأنتِ فـى مـــــقـلـة الأيـام مـــــاثلـةٌ

والنـاسُ حـــولك أســـمـــاعٌ وأبصـــارُ

أذهلتِ بالصـــبـــر كل الناس حـــين بدا

للصـــبـــر منك على الآلام إصـــرارُ

ظـنوه مـن وهـن الأيـام مـــجــــهـلـةً

والصــبــرُ ســيفٌ على الآلام بتــارُ

من حكمة الدهر فيك الصبر فلسفةً

أذلّ كلَّ عتى وهو جبار

ينفضُّ فى الموقف الأسمى على وهنٍ

من حول خطوك أشياعٌ وأنصارُ

حتى إذا صرتِ فردًا فى الأسى ومضى

لعزمك الفرد إيرادٌ وإصدارُ

وعدتِ بالحكمة العصماء بالفةً

عادوا يسابقهم بالفضل إقرارُ

فأنتِ مصرُ التى لولا حضارتها

أضاءت الشرق ما كانوا وما صاروا

مايو ١٩٨٢

المغنى للشمس

«أهديت إلى الموسيقار الفنان سيد مكاوى»

يشدنى إليك أننى إذا سمعتُ نبرتك

أحس صوت مصر.

يملؤنى بخبرة السنين

ينشلنى من زيف ما تلغو به المعازف الجديدة

معازف الهتاف والصخب

يوصلنى بآخر القوافل المولية

يلوى عنانها لكى تعود من جديد

تفرغ ما تشاء من كنوزها المهيبة

على دروب قريتى

على مشارف المآذن الوقور

●●●

عبيرُ أرض مصر والتواءةُ الدروب فى المدينة

والعبق الحرام فى تصاعد النغم

يحمل سحنة الجباه الصلبة المكتئبة

ولون شوق المجهدين بالعذاب

والحالمين بعد ليل الاغتراب بالإياب

تنثال من حروف شيخنا الجليل

درويشنا الذى تهيم مصر فى هوى «جلالته»

وتمنح الإباء والفناء من عطاء راحته

الحامل البخور من عطور أرضنا الخصيبة

الجامع النذور ألف غنوةٍ حبيبة

الله يا حروف.. يا كلام. يا نغم

الله يا ضراعة الألم

يشدنى إليك أننى أراه فيك

تحمل من ورائه مجمرة البخور

وألف غنوةٍ مازلت تجمع النذور

●●●

الناس فى بلادنا

يبادرون صبحهم بمسحة الغناء

الله يا فتاح يا عليم

وينشقون فى التماعة الضحى طراوة النغم

وفى المساء

موالهم

يزيح عن كواهل الضنى مواكب العناء

يحكون عن غريب

قد عاش طول عمره مشردا

وعن حبيب بالحبيب ما تلاقى أبدا

مدوا أكفكم إلى مغاور السماء

يا سادة النغم

ثم انزعوا من كبد السماء شعلة الضياء

وأشعلوا الدروب للغريب

ورتلوا

لعل يومًا يلتقى الحبيب بالحبيب

فمصر كلها ترقب موعد الإياب

وأنت يا شعاع آخر الطريق

يا سر شيخنا

يا حاملاً عمامة الخلافة

حدث فخلف الصمت فى المساء

ينصت للحديث ألف مهجة ظماء

تودّ لو تعيش فى الفناء ساعة الوصول

مارس ١٩٦٦

عتاب

ويذكرنى أحبائى وتبقى ‏ ‏ ‏ ‏ على البين المؤرّق لا تجيب

أما تدرى وأنت بها عليمٌ ‏ ‏ ‏ ‏ جراح البين كيف بها يصيب

أعدّ لك الشهور إذا توالت ‏ ‏ ‏ ‏ لعل لقاءنا الآتى قريب

ويسهر فيك بالأشواق ليلى ‏ ‏ ‏ ‏ وتأرق لى النجوم فلا تغيب

عهدتك فى الهوى وترًا يغنى ‏ ‏ ‏ ‏ وفيه بكل جارحةٍ تذوب

وما ألفيت منك على بعادٍ ‏ ‏ ‏ ‏ سوى لهفٍ يجنُّ فلا يثوب

فمالك حين أستدنيك تنأى ‏ ‏ ‏ ‏ وما لى عن ودادك لا أتوب

يناير ١٩٦٥

نشرت بالملحق الأدبى للمدينة المنورة.

قصيدة متطاولة

إلى أباطرة الكلام

يا سادة الكلام يا عظام

لا تفسحو الطريق للكلام

سدوا أمام وجهه منافذ الدروب

لعله يتوب

ولا ينى يعاود الوثوب

وأشرعوا فى وجهه أسنة الأقلام

يا سادة الكلام يا عظام

•••

لو مر من أمامكم

حرف ممزقٌ نحيل

ألقى به إلى رحابكم

عناء ألف أمسية

مضرجاتُ بالدموع والعرق

وبالسهاد والأرق

يخوض فى رماد ألف سحنةٍ تركض فى الزحام

ومن وراء ما يمور فى الحياة من ضرام

مختلجٌ بكل رعشةٍ فى أضلع المساء

بكل ما ينبض فى اللهاث والعناء

بالومض فى محاجر القلق

والركض خلف خاطرٍ

قد شف واحترق

لو مرَّ فى استحياء عريه المهيض

وفى تصاغر الوهن

سلوه يا أباطرة

إن كان يحمل التصريح بالمرور

إن كان مرةً

أراق ماءه على ترابكم

وإن تسكعت خطاه مرةً على دروبكم

وإن جثا فى محفل

بين يدى حروفكم

لو مرّ من أمامكم

سلوه يا أباطرة

إن مرةً تبسمت عيونه رغمًا عن العيون

وإن أمات مرةً

فى حلقه حقيقةً كان يود أن تقال

فإن مضى ولم يحر ولاذ بالسكوت

فأوصدوا فى وجهه منافذ الدروب

هزوا أمام وجهه صوالج العدم

وحاذروا أن تتركوا له سانحة الفناء

●●●

لو نسمةً عذراءُ فاح ريحها العطر

تنفست على شراع زورقٍ مجنح السمر

تقول عن حكاية لعاشقين

تبرعمت فى مقلتيهما الجبال والوهاد

وهان فى التقاف ساعديهما ضراوة العمر

فأطفئوا شعاعها الغريب

مالم يكن قد استفاق ظلها على رحابكم

ولم تكن ربيبة المروج فى رياضكم

ولا يرعكم بعد ذاك صورة الدماء

وصورة الشبابة الكسيرة الخرساء

وليمض للشيطان عازفٌ صغير

أراد أن يطاول السماء بالغناء

إبريل ١٩٦٥

سبحان من أبدع هذا الجمال

إليك أعنو يا بديع الجمال

فوق المدى المعقول فوق الخيال

وفوق ما فى الأرض من فتنة

وفوق ما فى شوقها من سؤال

أراه فى كل الذى صفته

يرقى به السحر ويسنوا الجلال

فى كل ما انداحت به قدرةً

وانداح فى الكون فنونًا وسال

فى القدّ والخدّ وفى ورده

والحسن فى الغصن إذا الغصن مال

فى الشمس والصبحُ يوارى بها

ظلاً من الليل تمادى وطال

تباكر الحقل الذى أينعت

فى كفه بعد الليالى الطوال

وفى مدى المغرب لما سرت

فى مهرجانٍ للرؤى والظلال

فى النيل والنخل وعطر الجنى

والمائلات المائسات الدلال

يا ربّ ما هذا الذى صفته

ما أعظم القدر وأوفى المثال

أبدعت هذا الكون ما من رؤىً

صاغت لك القدرة كيما تنال

ولا شعاعٌ ضاء فى أفقه

غيرُ الذى منك تناهى وآل

تـــواتـــر الخـــلـــق فـــنـــونًا وفــــى

كــــــفـــــيك فنٌ بـاذخٌ لا يـطـال

تدلـى بـه الـقـــــدرة لا ينتــــهـى

عطـاؤه الفـــــذ الـعـــصـيُّ المنال

هـذا الجـــمـــال المســـتــبـــاح الذى

توحـى بـه الأرض وشـمُّ الجـــبـــــال

والنهـــر والبـــحـــر المهــيب الذى

فى عـمـقـه عـدُّ الحـصـى والرمـــال

بدائعٌ ممـا يـحـــــيـــــرُ النهـى

ويذهل الفـكـر ويعــيـى الخـــيـــال

●●●

أرنـــو إلـــى الأفـــق الـــذى راعــنـــى

والشـــمـس طفلٌ فى المدى مـــا تزال

وأرقب النبـــتــــة فى مــهـــدهـا

والفـجـر يسـقـيـهـا الحـلال الزلال

والمرجَ والصبح به معزفٌ

في ألسن الطير انتشى ثم قال

ويستبيني الليل في قبةٍ

سوداءِ منثور عليها اللآل

أسمع نجواه صدىً قانتًا

والنجم فيه زينةٌ واحتفال

وأرقب الغيم أرى أنعمًا

فاضت على متن السحاب الثقال

تنساب موسيقا تداعى لها

في القلب ذكر خاشعٌ وابتهال

●●●

تجوس عيناي خلال الرمال

أرى صنيع الله فوق التلال

أصابع القدرة جالت بها

فأينع الفن وراء المجال

تلك التصاوير وتلك الرؤى

ما بين تكوير وبين اعتدال

كأنما يحكى ارتعاشُ المدى

تماوجًا يغشى انعطاف الهلال

قصيدةٌ فى الرمل منظومةٌ

وصورةٌ لا يدعيها مقال

أغضى حياءً ينتهى بى المدى

مستغشيًا ما بين حالٍ وحال

أكابد الحيرة فى خاطرى

أجاهدُ القول الذى لا يقال

ينبوبى المنطق لا ينثنى

يُغلِّقُ البوحُ يُعَمِّى الجدال

ويهتف القلب على صمته

سبحان من أبدع هذا الجمال

نوفمبر ١٩٩٨

لينا.. حفيدتى

لينا ابنتى حـــفـــيـــدتى. عـــفـــريتـــةٌ صـــغـــيـــره
جـــمـــيلةٌ ووجـــهـــهـــا كـــالشـــمس فى الظهـــيـــره
والـلـيـلُ إن أغـــــفـــى وأر خى حـــولـه ســـتـــوره
تـولـيـك مـن بـدر الـدجـى أطيـــــافـــــه ونـوره
خـــفـــيـــفـــة كظلهـــا آســـــرةٌ غـــــريـره
تعـــيش عـــامًا ثانيًا مـــا أكـــملت شـــهـــوره
لكنهـــا شـــقـــيـــةٌ عـــصـــيـــةٌ مُثـــيـــره
عـــفـــيـــةٌ. ذكـــيـــةٌ فـــهـــيـــمـــةٌ. قـــديره
لـو أن حَدًّ عـــمـــرها قـــاسَوْا بـه نـظـيـــره
تفـــرَّدت بـســـبـــقـــهـــا عـــادت بـه جـــديره

●●●

إن أطلقت عنانها   فى البيت مستطيره

بدت كأن خطوها   كتيبةٌ مُغيره

تغدو لها أشياؤنا   محطومةً كسيرة

ما تركت فى بيتنا   حقيقةً مستوره

إلا أذاعت سرها   وفوّحت عطوره

وأخرجت خبيثها   ومزقت ستوره

•••

تدرى إذا ما جاوزت   حدودها الصغيره

وإن بدا أن الذى   قامت به جريره

وإن بدت دروبها   غيمانةً عسيره

تغض. تظهر الأسى   أو تدّعى ظهوره

كأنه اعتذارها   عن زلةٍ خطيره

•••

سعادتى أعيشها   فى نشوةٍ كبيره

لما يلف ساعدا   ى الباقة النضيره

أضمها. تروح فى.   إغفاءةٍ قصيره

وتنثنى أصابعى في رحلة إثيره
تجوبُ شعرها الرهيـ ـف تستبى حريره
نفيق. نصحو. نلتقى في لحظة سميره
نهل من سمائها سحائبٌ مطيره
من الحبور والحنان والرغائب الوفيره
تغدو لها مشاعرى رهينةً أسيره

•••

تهلُ فى افترارها عن ضحكة منيره
وتسرع الخُطى إلى أحضانىَ الوثيره
أحسُّ أن عالمًا من فتنةٍ مثيره
يوسعُ لى رحابه يشيد لى قصوره
وأننى أملكه جزيرة جزيره
وأنها تربعت فى مهجتى. أميره

أغسطس ٢٠٠٢

محمد صالح الخولانى:

• من مواليد بورسعيد سنة ١٩٣٥.

• تخرج فى كلية اللغة العربية جامعة الأزهر سنة ١٩٦٣

• تنشر أعماله منذ بداية الستينيات فى الصحف والدوريات الأدبية بمصر والعالم العربى وتذاع فى البرامج الأدبية بالإذاعة والتليفزيون.

صدر للشاعر:

– ديوان «ملحمة الشعب البطل» بدولة الجزائر سنة ١٩٧١.

– ديوان «تضفى ويقول الموج» عن دار المستقبل بورسعيد سنة ١٩٨٧.

– ديوان «فى ذاكرة الفعل الماضى» فى سلسلة إصدارات أدبية عن الهيئة العامة لقصور الثقافة سنة ١٩٩١.

– ديوان «مملكة البندقية» عن دار آرت بورت للطباعة والنشر ببورسعيد سنة ٢٠٠٢.

– «الحلم والمؤامرة» مسرحية شعرية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٦.

– «أيام الدم» مسرحية شعرية عن الهيئة العامة لقصور الثقافة سنة ٢٠٠٠.

للشاعر تحت الطبع

ديوان «رحلة إلى الله».

«زيارة لبيت القاضى» و«السقوط» مسرحيتان شعريتان من فصل واحد.

فهرس

قصائد الديوان

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. egyptianbook. org
E - mail : info @egyptianbook.org